رائعة من روائع الشيخ
محمد نبيه
الواعظ بالأزهر الشريف

يا بني
المِقَةُ (*) في
تهيئةِ النفسِ وكسبِ الثقة

الناشر
مكتبة العلوم والحكم

(*) المقة: المحبة وكسب الثقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

رقم الإيداع: ١٧٧٠٨ / ٢٠١٣

مطبعة العمرانية للاوفست

الجيزة : ٣٣٧٥٦٢٩٩

مكتبة العلوم والحكم

محافظة الشرقية

ت: ٠١٠٠١٦٢٢٦٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي ورجائي

رسالة إلى فلذة الكبد إلى ذِكري من بعدي وامتدادي في دنيا الفنا.

المقدمة

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديرا.

والحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، الذي عجز الحامدون عن القيام بأداء شكر نعمة من نعمه، وكلت ألسنة الواصفين عن بلوغ كنه عظمته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ونشهد أن محمدا

عبده ورسوله البشير النذير، الداعي إليه بإذنه، السراج المنير، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

والحمد لله الذي أعظم علينا المنة بالإسلام والسنة، ووفقنا بفضله للاتباع، وعصمنا برحمته من الابتداع.

وصلى الله على محمد سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين في كل ساعة ولحظة على دوام الأبد ما لا يدخل تحت العدد، ولا ينقطع عنه المدد، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين والملائكة المقربين، وعليأزواجه وذريته، وأصحابه وعترته، وعلى متبعي سنته، وأهل إجابة دعوته بمنه وفضله وسعة رحمته.

أما بعد:

فلقد تمنيت على الله ذرية طيبة ويسر الله تعالى بالذرية وبدأت مستعينا بالله تعالى على تعويدهم الأدب الحسن فعهدت بهم إلي محفظ للقرآن الكريم ويسر الله لهم بإتمام القرآن تلاوة وحفظا وكنت أؤمل وأمنّى على الله أن يرثوا

مكتبتي ويعملوا من خلالها لدين الله تعالى ولكن قدرُ الله وماشاء فعل حيث كان لهم شأن آخر أنهم لايريدوا أن يكونوا كأبيهم ولما لم أجد سبيلا حتى أثنيهم عما هم عليه اعتمل في صدري أن أكتب هذه الرساله لهم ولكل من على شاكلتهم فعسى الله أن ينفع بها وهو مولانا وهو حسبنا ونعم النصير.

◉ **يا بني،** اعلم يا بني أن الكفر والردة تكون بأمورٍ عدة فاحذرها:

١ - **الكفر بالاعتقاد:** كما لو اعتقد لله صاحبةً أو ولدا أو اعتقد أن الله له شريك في الملك أو أن الله معه مدبرٌ في هذا الكون أو اعتقد أن أحدا يشارك الله في أسمائه أو صفاته أو أفعاله أو اعتقد أن أحدا يستحق العبادة غير الله أو اعتقد أن لله شريكا في الربوبية فإنه يكفر بهذا الاعتقاد كفرا أكبر مخرجا من الملة.

ويكون الكفر بالفعل: كما لو سجد للصنم أو فعل السحر أو فعل أي نوع من أنواع الشرك كأن دعا غير الله أو

ذبح لغير الله أو نذر لغير الله أو طاف بغير بيت الله تقربا لذلك الغير فالكفر يكون بالفعل كما يكون بالقول.

٢- **الكفر بالقول**: كما لو سب الله أو سب رسوله ﷺ أو سب دين الإسلام أو استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله ﷺ أو بدينه، قال الله تعالى في جماعة في غزوة تبوك استهزؤوا بالنبي ﷺ وبأصحابه: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فأثبت لهم الكفر بعد الإيمان فدل على أن الكفر يكون بالفعل كما يكون بالاعتقاد ويكون بالقول كمن سب الله أو سب الرسول ﷺ أو سب دينه فهو كافر والساب كافر؛ لأنه لا عذر له في هذا، فإن هؤلاء كفروا بالقول.

٣- **الكفر بالجحود والاعتقاد**: وهما شيء واحد وقد يكون بينهما فرق: فالجحود كأن يجحد أمرًا معلوما من الدين بالضرورة كأن يجحد ربوبية الله أو يجحد ألوهية الله أو استحقاقه للعبادة أو يجحد ملكا من الملائكة أو يجحد

رسولا من الرسل أو كتابا من الكتب المنزلة أو يجحد البعث أو الجنة أو النار أو الجزاء أو الحساب أو ينكر وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة أو وجوب الحج أو وجوب الصوم أو يجحد وجوب بر الوالدين أو وجوب صلة الرحم أو غير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة وجوبه أو يجحد تحريم الزنا أو تحريم الربا أو تحريم شرب الخمر أو تحريم عقوق الوالدين أو تحريم قطيعة الرحم أو تحريم الرشوة أو غير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة تحريمه.

٤- الكفر بالإعراض عن دين الله والترك والرفض لدين الله: كأن يرفض دين الله بأن يعرض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعبد الله فيكفر بهذا الإعراض والترك قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ [الأحقاف: ٣] وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢﴾ [السجدة: ٢٢].

* **واعلم يا بني**: أن من أُكره على التكلم بكلمة الكفر

أو على فعل الكفر فإنه يكون معذورا إذا كان الإكراه ملجئا كأن يُكرهه إنسان قادر على إيقاع القتل به فيهدده بالقتل وهو قادر أو يضع السيف على رقبته فإنه يكون معذورا في هذه الحالة إذا فعل الكفر أو تكلم بكلمة الكفر بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان، أما إذا اطمئن قلبه بالكفر فإنه يكفر حتى مع الإكراه نسأل الله السلامة والعافية.

فالذي يفعل الكفر له خمس حالات:

١ – إذا فعل الكفر جادا فهذا يكفر.

٢ – إذا فعل الكفر هازلا فهذا يكفر.

٣ – إذا فعل الكفر خائفا فهذا يكفر.

٤ – إذا فعل الكفر مكرها واطمئن قلبه بالكفر فهذا يكفر.

٥ – إذا فعل الكفر مكرها واطمئن قلبه بالإيمان فهذا لا يكفر لقول الله تعالى ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي

ﭐلۡقَوۡمَ ﭐلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦-١٠٧].

* واعلم يا بني: أن من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحَّح مذهبهم فهو مثلهم واعلم أن موالاة الكافرين ونصرتهم وردة والله تعالى يقول: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ﭐلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ﭐلۡيَهُودَ وَﭐلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ﭐللَّهَ لَا يَهۡدِي ﭐلۡقَوۡمَ ﭐلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١] وقال الله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ﭐلۡمُؤۡمِنُونَ ﭐلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ﭐلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ﭐللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِﭐللَّهِ وَﭐلۡيَوۡمِ ﭐلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ﭐللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ ﴾ [المجادلة: ٢٢]... الآية، فتولي الكفار كفر وردة؛ لأن أصل التولي المحبة في القلب ثم ينشأ عنها النُصرة والمساعدة. أما موالاتهم دون نصرتهم فهي من كبائر الذنوب إلا موالاة الذميين بحسن العشرة فهو دين النبي محمد ﷺ.

* واعلم يابني: أن العذر بالجهل من هدي سيد الخلق

و الجاهل لا يعذر في الأشياء الواضحة؛ إنما الجاهل الذي يُعذر في الأشياء التي تخفى على مثله؛ فلو كان هناك إنسان يعيش بين المسلمين ثم فعل الزنا فلما عوقب قال: إني جاهل؛ فلا يقبل منه لأن هذا أمرٌ واضح؛ أو تعامل بالربا وهو يعيش بين المسلمين لا يقبل منه أو عبد الصنم وهو يعيش بين المسلمين في مجتمع موحِّد لا يقبل منه؛ لأن هذا أمر واضح، لكن لو أسلم كافر في مجتمع يتعامل بالربا ويرى الناس يتعاملون بالمعاملات الربوية ثم تعامل بالربا وقال إنه جاهل؛ فهذا مثله يجهل هذا الشيء، أو نشأ في بلاد بعيدة ولم يسمع بالإسلام وليس عنده وسائل هذا معذور، أما الإنسان الذي يفعل أمرا معلوما واضحا وهو بين المسلمين فهذا لا يُعذر، فلا بد أن تكون المسألة التي يُعذر فيها دقيقة خفية تخفى على مثله ومن أمثلة ذلك ما ثبت في الصحيحين في قصة الرجل الذي أمر أهله أن يحرقوه وجمع أهله حينما حضرته الوفاة وقد كان مسرفا على نفسه فجمع أولاده عند وفاته وقال: أي أبٍ كنت

لكم؟ فأثنوا خيرا، فقال لهم: إنه لم يفعل خيرا قط وإن الله إن بعثه ليعذبنه عذابا شديدا فأخذ المواثيق على بنيه أنه إذا مات أن يحرقوه ثم يسحقوه ثم يذروه في البر؛ وفي بعض الروايات يذرُّوا نصفه في البر ونصفه في البحر وقال: لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذابا شديدا ففعلوا به ذلك؛ وفي الحديث أن الله أمر كلا من البر والبحر أن يجمع ما فيه وقال الله له: قم فإذا هو إنسانٌ قائم فقال له: ما حملك على ذلك؟ قال: خشيتك يا رب؛ فرحمه الله» قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن هذا الرجل إنما فعل ذلك عن جهل وأنه ظن أنه يفوت الله إذا وصل لهذه الحالة، فالرجل غير منكر للبعث وغير منكر لقدرة الله وهو يعلم أنه لو تُرِكَ ولم يُحرق ولم يُسحق فإن الله يبعثه؛ يعتقد هذا، لكنه أنكر كمال تفاصيل القدرة وظن أنه إذا وصل لهذه الحالة وأُحرق وسُحق وذُرّ أنه يفوت على الله ولا يدخل تحت القدرة، والذي حمله على ذلك ليس هو العناد ولا التكذيب وإنما الجهل مع الخوف العظيم فغفر الله له، فلو

كان عالما ولم يكن جاهلا لم يُعذر ولو كان معاندا لم يُعذر ولكنه ليس معاندا ولا عالما فاجتمع فيه الجهل والخوف العظيم؛ فرحمه الله وغفر له؛ فهذه مسألة خفية عليه

* واعلم يا بني: أن الإيمان لا يكون إلا بأمور أربعة هي أركانه:

١- النطق باللسان.

٢- الإقرار والتصديق بالجنان.

٣- النية والإخلاص.

٤- عمل الجوارح. فالعمل جزء من أجزاء الإيمان الأربعة وركن من أركانه

* والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٢-٤] فبين الله تعالى أن هذه الأعمال كلها من الإيمان، فوجل القلب عند ذكر الله

عمل قلبي، وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن عمل قلبي ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ عمل قلبي ويشمل أيضا أعمال الجوارح من فعل الأسباب والإنفاق مما رزقهم الله، كل هذه الأشياء سماها إيمانا. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [الحجرات: ١٥] وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥] وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة**».

وفي رواية البخاري: «**بضعٌ وستون شعبة فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**» فهذه الأدلة حجتنا على غيرنا حيث جعل النبي ﷺ الإيمان بضعا وسبعين شعبة ومثّل لقول اللسان بكلمة التوحيد على أنها من قول اللسان ومثّل لعمل الجوارح بإماطة الأذى عن الطريق ومثّل لعمل القلب بالحياء؛ لأن

الحياء خلقٌ داخلي يحمل الإنسان على فعل المحامد وترك القبائح. فأعلى شعب الإيمان كلمة التوحيد وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وبينهما شعب متفاوتة منها ما يقرب من شعبة الشهادة ومنها ما يقرب من شعبة الإماطة، فالصلاة شعبة والحج شعبة والزكاة شعبة والصوم شعبة وبر الوالدين شعبة وصلة الأرحام شعبة والجهاد في سبيل الله شعبة والأمر بالمعروف شعبة والنهي عن المنكر شعبة والإحسان إلى الجار شعبة، إلى غير ذلك من الشعب، فهذه كلها أدخلها النبي ﷺ في مسمى الإيمان ومن أدلتنا على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان كجزء وركن حديث وفد عبد القيس في الصحيحين وذلك أن «وفد عبد القيس جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وإنا لن نخلص إليك إلا في الشهر الحرام فمرنا بأمر فصل نعمل به ونخبر به من ورائنا فقال ﷺ: **«آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا**

الله وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خُمس ما غنمتم» ففسر الإيمان بأعمال الجوارح وهذا دليل واضح صريح على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان. فلا يجوز للإنسان مخالفة النصوص لا في اللفظ ولا في المعنى بل الواجب موافقة النصوص لفظا ومعنى.

◉ **يابني:** احرص على الصلاة خلف أئمة السنة واحذر أن تأتم بأهل البدعة كالذي يستغيث بالأموات ويطلب المدد منهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فإنه مبتدع مشرك ولا تصح الصلاة خلفه بعد إقامة الحجة عليه؛ ومن صلى خلفه ولم يعلم حاله فإنه إذا علم يعيد الصلاة وهذا بإجماع المسلمين أن الصلاة لا تصح خلف المشرك، وإن كان في البلد أئمة منهم العدول والفسقة فاحرص على العدول وإن لم يتيسر لك فصل خلف الفاسق إن كان موحدا

◉ **يابني:** اعلم أن من جملة ما نصح به رسول الله ﷺ

أمته قوله: «من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه». وفي هذه النصيحة كفاية لأهل العلم.

وفي كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم (٩ / ٣٤٣) عن أبي الفيض ذي النون المصري قال إن لله صفوة من خلقه وأن لله لخيرة من خلقه.

قيل له يا أبا الفيض فما علامتهم؟

قال: إذا خلع العبد الراحة وأعطى المجهود في الطاعة وأحب سقوط المنزلة

قيل له: يا أبا الفيض فما علامة إقبال الله عز و جل على العبد؟

قال: إذا رأيته صابرا شاكرا ذاكرا فذلك علامة إقبال الله على العبد.

قيل: فما علامة إعراض الله عن العبد؟

قال: إذا رأيته ساهيا راهبا معرضا عن ذكر الله فذاك حين يعرض الله عنه ثم قال ويحك كفى بالمعرض عن الله وهو يعلم أن الله مقبل عليه وهو معرض عن ذكره ٠ قيل له

يا أبا الفيض فما علامة الأنس بالله؟

قال: إذا رأيته يؤنسك بخلقه فإنه يوحشك من نفسه وإذا رأيته يوحشك من خلقه فإنه يؤنسك بنفسه.

ثم قال أبو الفيض الدنيا والخلق لله عبيد خلقهم للطاعة وضمن لهم أرزاقهم ونهاهم وحذرهم وأنذرهم فحرصوا على ما نهاهم الله عنه وطلبوا الأرزاق وقد ضمنها الله لهم فلا هم في أرزاقهم استزادوا ثم قال عجبا لقلوبكم كيف لا تتصدع ولأجسامكم كيف لا تتضعضع إذا كنتم تسمعون ما أقول لكم وتعقلون

◉ **يابني:** النصيحة سهلة، والمشكل قبولها، لأنها في مذاق متبعي الهوى مرّة، إذ المناهي محبوبة في قلوبهم

◉ **يابني:** لا تكن من الأعمال مفلسا، ولا من الأحوال خاليا، وتيقّن أن العلم المجرد لا يأخذ باليد.

◉ **يابني:** لو قرأت العلم مائة سنة، وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعدا لرحمة الله تعالى إلا بالعمل لقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم: ٣٩]،

وقولـــه تعـــالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨٢]، وقولـه تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهـف: ١٠٧-١٠٨]، وقولـه تعـالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

وما تقول في الأحاديث؟ «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلا» (رواه البخاري ومسلم).

والإيمان: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان.

ودليل الأعمال أكثر من أن يحصى، وإن كان العبد يبلغ الجنة بفضل الله تعالى وكرمه، لكن بعد أن يستعد بطاعته وعبادته، لأن رحمة الله قريب من المحسنين.

ولو قيل أيضا: يبلغ بمجرد الإيمان.

قلنا: نعم لكن متى يبلغ؟ وكم من عقبة كئود تستقبله إلى أن يصل؟.

وأول تلك العقبات: عقبة الإيمان: أنه هل يسلم من السلب أم لا.، وإذا وصل يكون خائبا مفلسا.

وقال الحسن البصري رحمه الله: (يقول الله تعالى لعباده يوم القيامة: ادخلوا يا عبادي الجنة برحمتي واقتسموها بقدر أعمالكم).

◉ **يابني،** ما لم تعمل لم تجد الأجر.

قال رسول الله ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا» رواه الترمذي موقوفا على عمر بألفاظ مشابهة.

* **وقال علي ﷺ:** (من ظنّ أنه بدون الجهد يصل فهو متمّن، ومن ظنّ أنه ببذل الجهد يصل فهو مستغن).

* **وقال الحسن رحمه الله تعالى:** (طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب). وقال: (علامة الحقيقة ترك ملاحظة العمل لا ترك الهمل).

* وقال رسول الله ﷺ: «الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني» (رواه الترمذي وقال: حديث حسن.).

◉ **يأبني،** كم من ليال أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب، وحرّمت على نفسك النوم؛ لا أعلم ما كان الباعث فيه؟

• إن كانت نيتك عرض الدنيا، وجذب حطامها وتحصيل مناضبها، والمباهاة على الأقران والأمثال، فويل لك ثم ويل لك.

وإن كان قصدك فيه إحياء شريعة النبي ﷺ وتهذيب أخلاقك، وكسر النفس الأمّارة بالسوء، فطوبى لك ثم طوبى لك، ولقد صدق من قال شعرا:

سهر العيون لغير وجهك ضائع
وبكاؤهن لغير فقدك باطل

◉ **يابني،** عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به.

عن سهل بن محمد رضي الله عنهما **قال:** جاء جبريل إلى النبي محمد ﷺ فقال: «**يا محمد: عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ماشئت، فإنك مجزي به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس**» (الطبراني في الأوسط وإسناده حسن).

يابني: العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون.

واعلم أن علما لا يبعدك اليوم عن المعاصي، ولا يحملك على الطاعة لن يبعدك غدا عن نار جهنم، وإذا لم تعمل اليوم، ولم تدارك الأيام الماضية تقول غدا يوم القيامة: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢]، فيقال: يا أحمق أنت من هناك تجيء. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢].

يا بني: اختر المجالس على عينيك فإذا رأيت قوما يذكرون الله فاجلس معهم فإن تك عالما ينفعك علمك

وإن تك جاهلا يعلموك وإذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس معهم فإن تك عالما لا ينفعك علمك وإن تك جاهلا يزيدوك غيا ولعل الله أن يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم.

ولا يعجبنك رحب الذراعين سفاك دماء الناس فإن له قاتلا لا يموت

◉ **يا بني،** اتق الله ولا تر الناس أنك تخشاه ليكرموك وقلبك فاجر.

◉ **يا بني،** كن لليتيم كالأب الرحيم واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد واعلم أن خطبة الأحمق في نادي القوم كالمتغني عند رأس الميت.

واعلم أن المرأة الصالحة لبعلها كالملك المتوج بالتاج المخوص بالذهب واعلم أن المرأة السوء لبعلها كالشيخ الكبير على ظهره الحمل الثقيل

ما أقبح الفقر بعد الغنى وأقبح منه الضلالة بعد الهدى وإن وعدت أخاك شيئا فأنجز له ما وعدته وإن لا تفعل

تورث بينك وبينه عداوة.

◉ **يـابني:** لا تكثر الجماع فإنه يوهن ظهرك حين تحتاج الناس إلى القوة

◉ **يابني:** لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك العبد فقيرا يوم القيامة

◉ **يابني:** اجعل الهمة في الروح، والهزيمة في النفس، والموت في البدن، لأن منزلك القبر، وأهل المقابر ينتظرونك في كل لحظة متى تصل إليهم، إياك إياك أن تصل إليهم بلا زاد.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (هذه الأجساد قفص الطيور، وإصطبل الدواب).. فتفكّر في نفسك من أيهما أنت؟

إن كنت من الطيور العلوية، فحين تسمع طنين طبل ﴿ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨] تطير صاعدا إلى أن تقعد في أعالي بروح الجنان، كما قال رسول الله ﷺ: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**» (رواه مسلم والبخاري).

والعياذ بالله إن كنت من الدواب كما قال تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩] فلا تأمن انتقالك من زاوية الدار إلى هاوية النار.

وروي أن الحسن البصري رحمه الله تعالى أعطي شربة ماء بارد، فلما اخذ القدح غشي عليه وسقط من يده، فلما أفاق قيل له: مالك يا أبا سعيد؟ قال: ذكرت أمنية أهل النار حين يقولون لأهل الجنة: ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ٥٠].

أيها الولد، لو كان العلم المجرّد كافيا لك، ولا تحتاج إلى عمل سواه، لكان نداء الله تعالى: «**هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ هل من تائب؟**» (رواه مسلم والبخاري).

وروي أن جماعة من الصحابة رضي الله عليهم أجمعين ذكروا عبد الله بن عمر عند رسول الله ﷺ فقال: «**نعم الرجل هو لو كان يصلي بالليل**» (رواه مسلم والبخاري).

وقال عليه الصلاة والسلام لرجل من أصحابه: «يا

فلان.. لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع صاحبه فقيرا يوم القيامة» (رواه ابن ماجه والبيهقي، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٤٤٦. وفي إسناده احتمال للتحسين).

أيها الولد: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٧٩] أمر؛ ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ [الذاريات: ١٨] شكر؛ ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران: ١٧] ذكر.

قال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى: صوت الديك، وصوت الذي يقرأ القرآن، وصوت المستغفرين بالأسحار» (رواه الديلمي كما في الكنز ١٥/ ٨١٤).

قال سفيان الثوري رحمه الله: (إن لله تعالى ريحا تهب بالأسحار تحمل الأذكار والاستغفار إلى الملك الجبار).

وقال أيضا: (إذا كان أول الليل ينادي مناد من تحت العرش: ألا ليقم العابدون، فيقومون ويصلون ما شاء الله؛ ثم ينادي مناد في شطر الله: ألا ليقم القانتون، فيقومون

ويصلون إلى السحر؛ فإذا كان السحر ينادي مناد: ألا ليقم المستغفرون، فيقومون ويستغفرون؛ فإذا طلع الفجر ينادي مناد: ألا ليقم الغافلون، فيقومون من فروشهم كالموتى نشروا من قبورهم).

◉ **يابني،** روي في بعض وصايا لقمان الحكيم لابنه أنه قال: (يا بني.. لا يكونَنّ الديك أكيس منك، ينادي بالأسحار وأنت نائم).

ولقد أحسن من قال شعرا:

لقد هتفت في جنح الليل حمامة
على فنن وهنا وإني لنائم
كذبت ودين الله لو كنت عاشقا
لما سبقتني بالبكاء الحمائم
وأزعم أني هائم ذو صبابة
لربي فلا أبكي وتبكي البهائم؟!

◉ **يابني،** خلاصة العلم: أن تعلم أن الطاعة والعبادة

ما هي إلا متابعة الشارع في الأوامر والنواهي بالقول والفعل، يعني: كل ما تقول وتفعل، وتترك يكون بإقتداء الشرع، كما لو صمت في يوم العيد وأيام التشريق تكون عاصيا، أو صليت في ثوب مغصوب - وإن كانت صورة عبادة - تأثم.

◉ **يابني:** ينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافقا للشرع؛ إذ العلم والعمل بلا اقتداء للشرع ضلالة، واعلم أن اللسان المطلق والقلب المطبق المملوء بالغفلة والشهوة علامة الشقاوة، حتى لا تقتل النفس بصدق المجاهدة لن يحيى قلبك إلا بأنوار المعرفة.

واعلم أن كل ما يكون ذوقيا، لا يستقيم وصفه بالقول، كحلاوة الحلو ومرارة المر، لا تعرف إلا بالذوق، كما حكي أن عنّينا كتب إلى صاحب له: أن عرّفني لذة المجامعة كيف تكون؟.

فكتب له في جوابه: يا فلان.. إني كنت حسبتك عنّينا فقط، الآن عرفت أنك عنّين وأحمق؛ لأن هذه اللذة ذوقية،

إن تصل إليها، وإلا لا يستقيم وصفها بالقول والكتابة.

◉ **يابني:** احذر الله حذر عبد علم مكان عدوه وغاب عنه وليه فتيقظ خوف السرى لا تأمن من مكر الله لتواتر نعمه عليك فإن ذلك مفسدة لك وذهاب لدينك وأسقط المهابة في الأولين والآخرين وعليك بكتاب الله الذي لا يضل المسترشد به ولن تهلك ما تمسكت به فاعتصم بالله تجده تجاهك وعليك بسنة رسول الله ﷺ تكن على طريقة الذين هداهم الله فبهداهم اقتده وكن لله كما تحب أن يكون لك أولياؤك من العامة من السمع والطاعة فإنه **«ما ولي أحد على عشرة من المسليمن فلم يحطهم بنصيحة إلا جاء يوم القيامة ويده مغلولة إلى عنقه لا يفكها إلا عدله»** وأنت أعرف بنفسك.

◉ **يابني:** اقبل الحق ممن جاءك به وإن كان بعيدا بغيضا واردد الباطل على من جاءك به وإن كان حبيبا قريبا وآخ الإخوان على قدر تقواهم ولا تجعل لسانك بذلة لمن لا يرى فيه ولا تغبط الحي إلا بما تغبط الميت

◉ **يابني،** إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية فتكون ممن أزال يقينه بشك ولكن القه وقل له بلغني عنك كذا وكذ وأجدر أن تسمى من بلغك فإن أنكر ذلك فقل له أنت أصدق وأبر ولا تزيدن على ذلك شيئا وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجها بعذر فاقبل منه وإن لم يرد ذلك فقل له ماذا أردت بما بلغني عنك فإن ذكر ماله وجه من العذر فاقبله وإن لم يذكر لذلك وجها لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ اثبتها عليه سيئة أتاها ثم أنت في ذلك بالخيار إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة وإن شئت عفوت عنه والعفو أبلغ للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠] فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك ولا تبخس باقي إحسانه السالف بهذه السيئة فإن ذلك الظلم بعينه فشعار الرجل الصالح (رحم الله من كافأني على إساءتي من غير أن يزيد ولا يبخس حقا لي).

◉ **يابني**، إذا كان لك صديق فشد يديك به فإن اتخاذ الصديق صعب. ومفارقته سهل وقد كان الرجل الصالح يشبه سهولة مفارقة الصديق بصبي يطرح في البئر حجرا عظيما فيسهل طرحه عليه ويصعب إخراجه على الرجال

◉ **يابني**، الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط

◉ **يابني**، رضي الناس غاية لا تدرك وليس لي إلى السلامة من سبيل فعليك بما ينفعك فالزمه

◉ **يابني**، كن مني كحاتم من شقيق: فحاتم الأصمّ كان من تلاميذ شقيق البلخي رحمة الله تعالى عليهما، فسأله شقيق يوما قال: صاحبتني منذ ثلاثين سنة ما حصّلت؟

قال: حصّلت ثماني فوائد من العلم، وهي تكفيني منك لأني أرجو خلاصي ونجاتي فيها.

فقال شفيق: ما هي؟

قال حاتم:

الفائدة الأولى: إني نظرت إلى الخلق فرأيت لكل منهم محبوبا ومعشوقا يحبه ويعشقه، وبعض ذلك المحبوب يصاحبه إلى مرض الموت وبعضه يصاحبه إلى شفير القبر، ثم يرجع كله، ويتركه فريدا وحيدا، ولا يدخل معه في قبره منهم أحد.

فتفكرت وقلت: أفضل محبوب المرء ما يدخل معه في قبره، ويؤنسه فيه، فما وجدته غير الأعمال الصالحة، فأخذتها محبوبة لي؛ لتكون لي سراجا في قبري، وتؤنسني فيه، ولا تتركني فريدا.

الفائدة الثانية: أني رأيت الخلق يقتدون أهواءهم، ويبادرون إلى مرادات أنفسهم، فتأملت قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]. وتيقنت أن القرآن حق صادق فبادرت إلى خلاف نفسي وتشمّرت بمجاهدتها، وما متعتها بهواها، حتى ارتاضت بطاعة الله تعالى وانقادت.

الفائدة الثالثة: أني رأيت كل واحد من الناس يسعى في جميع حطام الدنيا، ثم يمسكه قابضا يده عليه فتأملت في قوله تعلى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦] فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى ففرّقته بين المساكين ليكون ذخرا لي عند الله تعالى.

الفائدة الرابعة: أني رأيت بعض الخلق يظن أن شرفه وعزه في كثرة الأقوام والعشائر فأعتز بهم.

وزعم آخرون أنه في ثروة الأموال وكثرة الأولاد، فافتخروا بها.

وحسب بعضهم أن العز والشرف في غصب أموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم.

واعتقدت طائفة أنه في إتلاف المال وإسرافه، وتبذيره، فتأملت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فاخترت التقوى، واعتقدت أن القرآن حق صادق، وظنهم وحسبانهم كلها باطل زائل.

الفائدة الخامسة: إني رأيت الناس يذم بعضهم بعضا،

ويغتاب بعضهم بعضا، فوجدت أصل ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم، فتأملت في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢] فعلمت أن القسمة كانت من الله تعالى في الأزل، فما حسدت أحدا ورضيت بقسمة الله تعالى.

الفائدة السادسة: أني رأيت الناس يعادي بعضهم بعضا لغرض وسبب، فتأملت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] فعلمت أنه لا يجوز عداوة أحد غير الشيطان.

الفائدة السابعة: أني رأيت كل أحد يسعى بجد، ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش، بحيث يقع به في سبهة وحرام ويذل نفسه وينقص قدره، فتأملت في قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فعلمت أن رزقي على الله تعالى وقد ضمنه، فاشتغلت بعبادته، وقطعت طمعي عمّن سواه.

الفائدة الثامنة: أني رأيت كل واحد معتمدا على شيء

مخلوق، بعضهم على الدينار والدرهم، وبعضهم على المال والملك، وبعضهم على الحرفة والصناعة، وبعضهم على مخلوق مثله، فتأملت في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٣] فتوكلت على الله تعالى فهو حسبي ونعم الوكيل.

فقال شفيق: وفقك الله تعالى إني قد نظرت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فوجدت الكتب الأربعة تدور على هذه الفوائد الثماني، فمن عمل بها كان عاملا بهذه الكتب الأربعة.

يابني، إذا فهمت ما قاله حاتم أصبت الأدب وعندها يكفك من العلم أيسره

والآن أبين لك ما يجب على سالك سبيل الحق:

فاعلم أنه ينبغي لسالك طريق الحق أن يصحب شيخا ربانيا، ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته، ويجعل مكانها خلقا حسنا.

فالشيخ الرباني يشبه الفلاح الذي يقلع الشوك. ويخرج النباتات الغريبة من بين الزرع ليحسن نباته. ويكمل ريعه، ولا بد للسالك من شيخ يربيه ويرشده إلى سبيل الله تعالى لأن الله أرسل للعباد محمدا رسولا للإرشاد إلى سبيله فإذا ارتحل ﷺ فقد خلف الخلفاء في مكانه، حتى يرشدوا إلى الله تعالى.

وشرط االشيخ الذي يصلح أن يكون نائبا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه: أن يكون عالما إلا أن كل عالم لا يصلح للخلافة.

وإني أبيّن لك بعض علاماته على سبيل الإجمال؛ حتى لا يدّعي كل أحد أنه رباني فنقول: إن العالم الرباني هو من يعرض عن حب الدنيا وحب الجاه، متبعا سيد المرسلين ﷺ، والرباني من أحسن رياضة نفسه من قلة الأكل والقول والنوم وكثرة الصلوات والصدقة والصوم، والرباني هو الرباني من جعل محاسن الأخلاق له سيرة: كالصبر والصلاة والشكر والتوكل واليقين والسخاء والقناعة

وطمأنينة النفس والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوفاء والوقار والسكون والتأني وأمثالها، فهو بهذا نور من أنوار النبي ﷺ يصلح للإقتداء به، ولكن وجود مثله في عصرنا نادر أعز من الكبريت الأحمر.

فإن من الله عليك ووجدت الشيخ الرباني، وقبلك الشيخ، ينبغي أن تحترمه ظاهرا وباطنا:

أما احترام الظاهر فهو أن لا تجادله، ولا تشتغل بالاحتجاج معه في كل مسألة، وتعمل ما يأمرك به الشيخ من العمل بقدر وسعك وطاقتك

وأما احترام الباطن: فهو أنّ كل ما تسمع وتقبل منه في الظاهر لا تنكره في الباطن لا فعلا ولا قولا؛ لئلا تتّسم بالنفاق، وإن لم تستطع فعليك بترك صحبته إلى أن يوافق باطنك ظاهرك.

◉ **يابني:** إحرص أن تكون لله وليا واعلم أن الولي له خصلتان: الاستقامة، والسكون عن الخلق، فمن استقام وأحسن خلقه بالناس وعاملهم بالحلم فهو «ولي».

والاستقامة أن يفدي حظ نفسه لنفسه.

وحسن الخلق مع الناس: ألا تحمل الناس على مراد نفسك، بل تحمل نفسك على مرادهم ما لم يخالفوا الشرع.

◐ **يابني،** كن عبدا لله واعلم أن العبودية ثلاثة أشياء:

أحدها: محافظة أمر الشرع.

وثانيها: الرضاء بالقضاء والقدر وقسمة الله تعالى.

وثالثها: ترك رضاء نفسك في طلب رضاء الله تعالى.

◐ **يابني،** نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن النطق به فإن المستمع شريك القائل وإن السفيه ينظر إلى أخبث شيء في وعائه فيحرص أن يفرغه في وعائك ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها:

◐ **يابني،** أنفع الذخائر التقوى وأضرها العدوان

◐ **يابني،** ليس العلم ما حفظ • بل العلم ما نفع

◐ **يابني،** كن متوكلا واعلم أن التوكل هو أن

تستحكم اعتقادك بالله تعالى فيما وعد، يعني تعتقد أن ما قدر لك سيصل إليك لا محالة وإن اجتهد كل من في العالم على صرفه عنك، وما لم يكتب لك لن يصل إليك، وإن ساعدكِ جميع العالم.

◉ **يابني:** كن مخلصا واعلم أن الإخلاص هو أن تكون أعمالك كلها لله تعالى، ولا يرتاح قلبك بمحامد الناس، ولا تبالي بمذمتهم.

واعلم أن الرياء يتولد من تعظيم الخلق. وعلاجه أن تراهم مسخرين تحت القدرة، وتحسبهم كالجمادات في عدم قدرة إيصال الراحة والمشقة لتخلص من مراياتهم. ومتى تحسبهم ذوي قدرة وإرادة لن يبعد عنك الرياء.

◉ **يابني:** اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل

◉ **يابني:** احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر وكل من به عاهة في بدنه وكل ناقص الخلق فاحذره فإن فيه التواء ومخالطته معسرة

◉ **يابني:** إنك ما رفعت أحدا فوق منزلته إلا وضع

منك بمقدار ما رفعت منه

◉ **يابني،** إني أنصحك بثمانية أشياء، اقبلها مني لئلا يكون علمك خصمك يوم القيامة، تعمل منها أربعة، وتدع منها أربعة:

أما اللواتي تدع:

فأحدها: ألا تناظر أحدا في مسألة ما استطعت لأن فيها آفات كثيرة، فإثمها أكبر من نفعها، إذ هي منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها.

نعم، لو وقع مسألة بينك وبين شخص أو أقوام، وكانت إرادتك فيها أن تظهر الحق ولا يضيع، جاز البحث، لكن لتلك الإرادة علامتان:

إحداهما: ألا تفرّق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك.

والثانية: أن يكون البحث في الخلاء أحبّ إليك من أن يكون في الملأ.

واسمع أني أذكر ههنا فائدة، واعلم أن السؤال عن المشكلات عرض مرض القلب إلى الطبيب، والجواب له سعي لإصلاح مرضه.

واعلم أن الجاهليين: هم المرضى قلوبهم، والعلماء: هم الأطباء.

واعلم أن العالم الناقص لا يحسن المعالجة، والعالم الكامل لا يعالج كل مريض، بل يعالج من يرجو فيه قبول المعالجة والصلاح، فإذا كانت العلة مزمنة أو عقيما لا تقبل العلاج، فحذاقة الطبيب فيه أن يقول: هذا لا يقبل العلاج، فلا تشغل فيه بمداواته لأن فيه تضييع العمر.

ثم اعلم أن مرض الجهل على أربعة أنواع: أحدها يقبل العلاج، والباقي لا يقبل.

* أما الذي لا يقبل:

فأحدهما: من كان سؤاله واعتراضه عن حسد وبغض، فكلما تجيبه بأحسن الجواب وأفصحه، فلا يزيد له ذلك إلا بغضا عداوة وحسدا، فالطريق ألا تشتغل بجوابه، فقد قيل:

كل العداوة قد ترجى أزالتها
إلا عداوة من عاداك عن حسد

فينبغي أن تعرض عنه، وتتركه مع مرضه؛ قال الله تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النجم: ٢٩].

والحسود بكل ما يقول ويفعل يوقد النار في زرع علمه: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» (تاريخ بغداد بإسناد حسن.).

والثاني: أن تكون علته من الحماقة، وهو أيضا لا يقبل العلاج كما قال عيسى عليه السلام: إني ما عجزت عن إحياء الموتى، وقد عجزت عن معالجة الأحمق.

وذلك رجل يشتغل بطلب العلم زمنا قليلا ويتعلم شيئا قليلا من علوم العقل والشرع، فيسأل، ويعترض من حماقته على العالم الكبير، الذي أمضى عمره في العلوم: العقلي والشرعي، وهذا الأحمق لا يعلم، ويظن أن ما أشكل عليه هو أيضا مشكل للعالم الكبير، فإذا لم يعلم هذا

القدر يكون سؤاله من الحماقة، فينبغي ألا يشتغل بجوابه.

والثالث: أن يكون مسترشدا، وكل ما لا يفهم من كلام الأكابر يحمل على قصور فهمه، وكان سؤاله للاستفادة، لكن لكونه بليدا لا يدرك الحقائق، فلا ينبغي الاشتغال بجوابه أيضا.

* وأما المرض الذي يقبل العلاج، فهو أن يكون مسترشدا عاقلا فهما لا يكون مغلوب الحسد والغضب وحب الشهوة والجاه والمال. ويكون طالب طريق المستقيم، ولم يكن سؤاله واعتراضه عن حسد، وتعنّت وامتحان، وهذا يقبل العلاج، فيجوز أن تشتغل بجواب سؤاله بل يجب عليك إجابته.

* **والثاني مما تدع:** وهو أن تحذر وتحترز من أن تكون واعظا ومذكرا؛ لأن آفته كثيرة إلا أن تعمل بما تقول أولا، ثم تعظ به الناس، فتفكر فيما قيل لعيسى عليه السلام: (يا ابن مريم عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستح من ربك).

وإن ابتليت بالعمل في الوعظ فاحترز من خصلتين:

الأولى: عن التكلف في الكلام بالعبارات والإشارات والطامات والأبيات والأشعار؛ لأن الله تعالى يبغض المتكلفين، والمتكلف المتجاوز عن الحد، يدل على خراب الباطن وغفلة القلب.

ومعنى التذكير: أن يذكر العبد نار الآخرة، وتقصير نفسه في خدمة الخالق ويتفكر في عمره الماضي الذي أفناه فيما لا يعنيه ويتفكر فيما بين يديه من العقبات من عدم سلامة الإيمان في الخاتمة، وكيفية حاله في قبض ملك الموت، وهل يقدر على جواب منكر ونكير؟

ويهتم بحاله في القيامة ومواقفها، وهل يعبر الصراط سالما أم يقع في الهاوية؟

ويستمر ذكر هذه الأشياء في قلبه، فيزعجه عن قراره، فغليان هذه النيران، وتوجه هذه المصائب يسمّى تذكيرا، وإعلام الخلق واطلاعهم على هذه الأشياء، وتنبيههم على تقصيرهم وتفريطهم، وتبصيرهم بعيوب أنفسهم لتمسّ

حرارة هذه النيران أهل المجلس، وتجزعهم تلك المصائب ليتداركوا العمر الماضي بقدر الطاقة، ويتحسّروا على الأيام الخالية في غير طاعة لله تعالى.

هذه الجملة على هذا الطريق تسمى وعظا، كما لو رأيت أن السيل قد هجم على دار أحد، وكان هو وأهله فيها فتقول: الحذر الحذر فروا من السيل!! وهل يشتهي قلبك في هذه الحالة أن تخبر صاحب الدار خبرك بتكلف العبارات، والنكت والإشارات؟ فلا يشتهي البتة؛ فكذلك حال الواعظ فينبغي أن يجتنبها.

الخصلة الثانية: ألا تكون همّتك في وعظك أن ينفر الخلق في مجلسك ويظهروا العجب، ويكثروا الضجيج، ليقال: نعم المجلس هذا؛ لأن كله ميل للدنيا والرياء، وهو يتولد من الغفلة، بل ينبغي أن يكون عزمك وهمّتك أن تدعو الناس من الدنيا إلى الآخرة، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الحرص إلى الزهد، ومن البخل إلى السخاء، ومن الغرور إلى التقوى، وتحبب إليهم الآخرة، وتبغّض

إليهم الدنيا، وتعلمهم علم العبادة والزهد؛ لأن الغالب على طباعهم الزيغ عن نهج الشرع، والسعي فيما لا يرضى الله تعالى به، والاشتغال بالأخلاق الرّدية، فألق في قلوبهم الرعب، وروّعهم، وحذرهم عما يستقبلون من المخاوف؛ لعل صفات باطنهم تتغير، ومعاملة ظاهرهم تتبدل، ويظهروا الحرص والرغبة في الطاعة والرجوع عن المعصية، وهذا طريق الوعظ والنصيحة، وكل وعظ لا يكون هكذا فهو وبال على من قال ويسمع، بل قيل: إنه غول وشيطان، يذهب بالخلق عن الطريق ويهلكهم، فيجب عليهم أن يفروا منه؛ لأن ما يفسد هذا القائل من دينهم، لا يستطيع بمثله الشيطان، ومن كان له يد وقدرة يجب عليه أن ينزله عن منابر المسلمين ويمنعه عما باشر، فإنه من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والثالث مما تدع: أنه لا تخالط الأمراء والسلاطين ولا تحرص على رؤيتهم، لأن رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة، ولو ابتليت بها دع عنك مدحهم وثناءهم، لأن

الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق والظالم، ومن دعا لطول بقائهم فقد أحبّ أن يعصى الله في أرضه.

والرابع مما تدع: ألا تقبل شيئا من عطاء الأمراء وهداياهم وإن علمت أنها من الحلال، لأن الطمع منهم يفسد الدين، لأنه يتولد من المداهنة، ومراعاة جانبهم والموافقة في ظلمهم، وهذا كله فساد في الدين، وأقلّ مضرّته أنك إذا قبلت عطاياهم، وانتفعت من دنياهم أحببتهم، ومن أحبّ أحدا يحب طول عمره، وبقاءه بالضرورة، وفي محبة بقاء الظالم إرادة في الظلم على عباد الله تعالى، وإرادة خراب العالم، فأي شيء يكون أضر من هذا على الدين والعاقبة.

* وإياك وإياك أن تخدع باستهواء الشياطين أو قول بعض الناس لك: بأن الأفضل والأولى أن تأخذ منهم الدينار والدهم، وتفرّقها بين الفقراء والمساكين؛ فإنهم ينفقون على الفسق والمعصية، وإنفاقك على ضعفاء الناس خير من إنفاقهم؛ فإن اللعين قد قطع أعناق كثير من

الناس بهذه الوسوسة وآفته كثيرة، ذكرناها في إحياء العلوم فاطلبه منها.

***وأما الأربعة التي ينبغي لك أن تفعلها:**

الأول: أن تجعل معاملتك مع الله تعالى، بحيث لو عامل بها عبدك معك ترضى بها منه، ولا يضيق خاطرك عليه ولا تغضب، والذي لا ترضى به لنفسك من عبدك المجازيّ فلا ترضى أيضا لله تعالى وهو سيدك الحقيقي.

والثاني: كلما عملت بالناس اجعله كما ترضى لنفسك منهم؛ لأنه لا يكمل إيمان عبد حتى يحبّ لسائر الناس ما يحبّ لنفسه.

والثالث: إذا قرأت العلم أو طالعته، ينبغي أن يكون علمك علما يصلح قلبك ويزكي نفسك، كما لو علمت أن عمرك ما يبقى غير أسبوع، فبالضرورة لا تشتغل فيها بعلم الفقه والخلاف والأصول والكلام وأمثالها؛ لأنك تعلم أن هذه العلوم لا تغنيك، بل تشتغل بمراقبة القلب، ومعرفة صفات النفس، والإعراض عن علائق الدنيا، وتزكي

نفسك عن الأخلاق الذميمة وتشتغل بمحبة الله تعالى وعبادته، والاتصاف بالأوصاف الحسنة، ولا يمر على عبد يوم وليلة إلا ويمكن أن يكون موته فيه.

◉ **يابني:** اسمع مني كلاما آخر، وتفكر فيه حتى تجد فيه خلاصا: لو أنّك أخبرت أن السلطان بعد أسبوع يجيئك زائرا. أعلم أنك في تلك المدة لا تشتغل إلا بإصلاح ما علمت أن نظر السلطان سيقع عليه من الثياب والبدن، والدّار والفرش وغيرها.

والآن فكر فيما أشرت به فإنك فهم، والكلام الفرد يكفي الكيّس، قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم»** (رواه مسلم).

والرابع: ألا تجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة، كما كان رسول الله ﷺ يعدّ ذلك لبعض حجراته، وقال: **«اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا»** (رواه مسلم)، ولم يكن يعدّ بعد ذلك لكل حجراته بل كان يعدّه لمن علم أن في قلبها

ضعفا، وأما من كانت صاحبة يقين فما كان يعدّ لها أكثر من قوت يوم ونصف.

◉ **يابني:** اقبل وصيتي وعهدي، إن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار، كسرعة اختلاط قطر المطر بماء الأنهار؛ وبعد قلوب الفجار من الائتلاف، كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على أرى واحد؛ كن يا بني بصالح الوزراء أغنى منك بكثرة عدتهم، فإن اللؤلؤة خفيف محملها كثير ثمنها، والحجر فادح حمله قليل غناؤه.

* «حكمة من حكم الأحنف بن قيس» عن الحسن قال: قال الأحنف بن قيس: الكذوب لا حيلة له؛ والحسود لا راحة له؛ والبخيل لا مروءة له؛ والملول لا وفاء له؛ ولا يسود سيء الأخلاق؛ ومن المروءة إذا كان الرجل بخيلًا أن يكتم ويتجمل.

قال أبو حاتم: قيل للأحنف: بم بلغت ما بلغت؟ قال: لو عاب الناس الماء ما شربته. قال: وقال: من لم يسخ نفسًا عن الحظ الجسيم للعيب الصغير، لم يعد سفيقًا على

نفسه، (الأمالي لأبي علي القالي).

* وصية شريح لمعلم ولده (من كتاب الحيوان للجاحظ) ولبُغض المُزاح في لعب الصبيان بالكِلاب واستهْتارِهم بها، كَتَبَ شريح إلى معلِّمِ ولَدِ له كان يَدَع الكتَّابَ وَيَلعب بالكلاب:

تَرَكَ الصَّلاة لأكلبٍ يَلهو بها
طَلَبَ الهِراشِ مع الغُوَاة الرُّجَّسِ
وليأتينَّك غاديًا بصحيفةٍ
إلا عداوة من عاداك عن حسد
كل العداوة قد ترجى أزالتها
يَغْدُو بها كصحيفة المتلمِّسِ
فإذا خَلوتَ فعَضَّه بَملاَمَةٍ
أو عِظْهُ موعِظَةَ الأديب الأكيس
وإذا هممت بضرْبهِ فبِدِرَّةٍ
وإذا ضَرَبت بها ثلاثًا فاحْبِس

واعلـــمْ بأنّـــك مـــا فعلـــت فإنَّـــه
مَـــعَ مَـــا يُجَرِّعُنـــي أعـــزُّ الأنفُـــس

◉ **يـابني:** اعلـم أن لله عمـلًا بالليـل لا يقبلـه بالنهـار، وعملًا بالنهار لا يقبله بالليل. واعلم أنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة وأنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق. ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكـون ثقيلًا. وإنمـا خفـت مـوازين مـن خفـت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا. ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطـل أن يكـون خفيفًـا. إن الله جـل ذكـره ذكر أهل الجنة بحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فـإذا ذكـرتهم فقـل إني لأخـاف ألا أكـون من هـؤلاء. وذكـر أهـل النار بسوء أعمالهم، فإذا ذكـرتهم فقـل إني لأرجو ألا أكـون من هؤلاء. وذكر آية الرحمـة مع آيـة العـذاب ليكـون العبـد راغبًا راهبًا لا يتمنى على الله غير الحق، ولا يلقي بيده إلى التهلكة. فإن حفظت وصيتي فـلا يكـونن غائـب أحـب إليك من الموت ولست بمعجزه.

* وصية عمر بن الخطاب: قال فطر بن خليفة وغيره: دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته عبد الله بن عمر فقال:

أي بني: إذا قام الخليفة بعدي فائته فقل إن عمر يقرأ عليك السلام ويوصيك بتقوى الله لا شريك له، ويوصيك بالمهاجرين الأولين خيرًا: أن تعرف لهم سابقتهم. ويوصيك بالأنصار خيرًا: أن تقبل من محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم. ويوصيك بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم غيظ العدو وجباة الفيء، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم. ويوصيك بأهل البادية خيرًا، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام: أن تأخذ من حواشي أموالهم فترد على فقرائهم. ويوصيك بأهل الذمة خيرًا: أن تقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا فوق طاقتهم.

* وصية علي بن أبي طالب: قال لوط بن يحيى: حدثني عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب أسأل عنه حين ضربه ابن ملجم لعنه الله. فقمت ولم أجلس لمكان ابنة له دخلت عليه وهي

مستترة، فدعا الحسن والحسين رحمهما الله فقال: إني أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء منها زوي عنكما. قولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضالع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا، وللمظلوم عونًا، ولا تأخذ كما في الله لومة لائم ٠ ثم نظر إلى ابن الحنفية فقال له: فهمت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم. قال: أوصيك بمثله، وأوصيك بتوقير أخويك، وتزيين أمرهما، ولا تقطع أمرًا دونهما ثم قال: وأوصيكما به فإنه شقيقكما، وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباه كان يحبه فأحباه. (من كتاب التعازي والمراثي للمبرد)

* **وصية معاوية بن أبي سفيان:** قال عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب: لما ثقل معاوية، بعث إلى يزيد وهو في ضياعه، فأتاه غلام له يقال له عجلان، فأخبره بثقل أبيه، فأقبل وقد قال في ذلك شعرًا: البسيط

جَاءَ البريد بقرطاس يخب بِهِ

فأوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنـــا: لـــك الويـــل مـــاذا فِـــي كتـــابكمُ؟
قَـــالُوا: الخليفـــة أمـــسى مثبتـــا وجعـــا
فمـــادت الأرض أو كـــادت تميـــد بنـــا
كـــأن أغبـــر مـــن أركانهـــا انقطعـــا
مـــن لا تـــزل نفـــسه تـــوفي عَلَـــى شـــرف
توشـــك مقاليـــد تِلَـــكَ الـــنفس أن تقعـــا
لمـــا إنتهينـــا وبـــاب الـــدار منـــصفق
وصـــوت رملـــة ريـــع القلـــب فانـــصدعا
ثمّـــت ملنـــا إلـــى عـــيسٍ مزمّمـــةٍ
نغـــشى الفجـــاج بهـــا لا نـــأتلي ســـرعا
لـــسنا نبـــالي إذا بلّغـــن أرحلنـــا
مـــا مـــات مـــنهنّ بالبيـــداء أو ظلعـــا
حتّـــى دفعنـــا لـــرأس النّـــاس كلّهـــم
هـــديًا، وخيـــرهم فعـــلاً ومـــصطنعا

مــن لــم تــزل نفــسه تــوفي علــى شــرفٍ

توشــك مقــادير تلــك الــنّفس أن تقعــا

لمّــا انتهينــا وبــاب الــدّار منــصفقٌ

لــصوت رملــة ريــع القلــب فانقلعــا

قال: فلما دخل على معاوية خلا به وأخرج عنه أهل بيته وقال: يا بني قد جاء أمر الله، وهذا أوان هلاكي، ما أنت صانع بهذه الأمة بعدي؟ فمن أجلك آثرت الدنيا على الآخرة، وحملت الوزر على ظهري لتعلو بني أبيك. قال يزيد: آخذهم بكتاب الله وسنة رسوله وأقتلهم عليه. قال: أولاَ تسير بسيرة أبي بكر الذي قاتل أهل الردة ومضى والأمة عنه راضون؟.

قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، آخذهم به وأقتلهم عليه.

قال: أولاَ تسير بسيرة عمر الذي مصر الأمصار وجند الأجناد، وفرض الأعطية، وجبى الفيء وقاتل العدو، ومضى والأمة عنه راضون؟. قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة

نبيه عليه السلام، آخذهم به وأقتلهم عليه.

قال: أولاً تسير بسيرة عمك عثمان بن عفان الذي أكل في حياته، وورث في مماته، واحتمل الوزر على ظهره؟.

قال: لا، إلا بكتاب الله وسنة نبيه، آخذهم به واقتلهم عليه.

قال: يا يزيد، انقطع منك الرجاء وأظنك ستخالف هؤلاء جميعًا فتقتل خيار قومك وتغزو حرم ربك بأشابات الناس فتطعمهم لحومهم بغير الحق فتدركك ميتة فجاءة، فلا دنيا أصبت، ولا آخرة أدركت. يا يزيد أما إذا لم تصب الرشد فإني قد وطأت لك الأمور، وذللت لك أهل العز، وأخضعت لك رقاب العرب، وكفيتك الرحلة والترحال، وجمعت لك ما لم يجمعه واحد، وإني لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر إلا ثلاثة نفر: الحسين ابن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير. فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة وتخلى من الدنيا وشغل نفسه بالقرآن. وما أظنه يقاتل عليها إلا أن تأتيه عفوًا. وأما الذي يجثم جثوم الأسد ويروغ روغان الثعلب، فإن أمكنته

الفرصة وثب فابن الزبير، فإن هو فعل فاستمكنت منه فقطعه إربًا إربًا إلا أن يلتمس منك صلحًا، فإن فعل فاقبل منه واحقن دماء قومه تقبل قلوبهم إليك. وأما الحسين بن علي فإن له رحمًا وحقًا وولادة من رسول الله ﷺ ولا أظنه أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه عليك، فإن قدرت عليه فاصفح عنه. فإني لو كنت صاحبه صفحت وعفوت عنه قم عني. وصلى عليه عمرو بن العاص.

يابني: كن من الصائمين بالنهار، والمستغفرين بالأسحار، والذاكرين الله على كل حال، ولا تشرب الخمر، ولا تعق والديك، ولا تأكل مال اليتيم، ولا تفر من الزحف، ولا تخرج على إمامك والزم طاعته ما أطاع الله فإن أمرك بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم انصح لأولي الأمر ولا تغشهم، ولا تأكل الربا، ولا تدع الصلاة المكتوبة، وصل رحمك لله، وكن بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا. وأنا لك بالجنة زعيم. ولا تلهك الدنيا واعلم يابني أن أكيس الناس أطوعهم لله، وأعملهم ليوم

ميعاده.، ويابني تب إلى الله من ذنوبك توبة نصوحا، فإن عبدًا لا يلقى الله تائبًا من ذنبه إلا كان حقًا على الله أن يغفر له. ولا تنسى ديوني، فإن العبد مرتهن بدينه، ولا تهجر إخوانك، فلا ينبغي للمسلم أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث، والذنب في ذلك عظيم.

◉ **يابني،** عليك بتقوى الله وطاعته وتجنب محارمه باتباع سنته ومعالمه حتى تصح عيوبك وتقر عينك فانها لا تخفي على الله خافيه واني قد وسمت لك وسما ووضعت لك رسما ان انت حفظته ووعيته وعملت به ملأت أعين الملوك وانقاد لك به الصعلوك ولم تزل مرتجى مشرفا يحتاج اليك ويرغب الى ما في يديك فأطع اباك واقتصر على وصيةابيك وفرغ لذلك ذهنك واشغل به قلبك ولبك واياك وهذر الكلام وكثرة الضحكك والمزاح ومهازلة الإخوان فإن ذلك يذهب البهاء ويوقع الشحناء وعليك بالرزانة والتوقر من غير كبر يوصف منك ولا خيلاء تحكي عنك والق صديقك وعدوك بوجه الرضى وكف الأذى من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وكن في جميع أمورك في

أوسطها فإن خير الأمور أوساطها وقلل الكلام وأفش السلام وامش متمكنا قصدا ولا تخط برجلك ولا تسحب ذيلك ولا تلو عنقك ولا ردائك ولا تنظر في عطفك ولا تكثر الالتفاف ولا تقف على الجماعات ولا تتخذ السوق مجلسا ولا الحوانيت متحدثا ولا تكثر المراء ولا تنازع السفهاء فإن تكلمت فاختصر وإن مزحت فاقتصر واذا جلست فتربع وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها والعبث بلحيتك وخاتمك وذؤابة سيفك وتخليل أسنانك وإدخال يدك في أنفك وكثرة طرد الذباب عنك وكثرة التثاؤب والتمطى وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ويغتمزون به فيك وليكن مجلسك هاديا وحديثك مقسوما وأصغ الى الكلام الحسن ممن حدثك بغير إظهار عجب منك ولا مسألة إعادة وغض عن الفكاهات من المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا شيء يخصك واياك وأحاديث الرؤيا فإنك إن أظهرت عجبا بشيء منها طمع فيها السفهاء فولدوا لك الأحلام واغتمزوا في عقلك ولا تتصنع تصنع المرأة ولا تتبذل تبذل العبد ولا تهلب لحيتك ولا تبطنها

وتوق كثرة الحف ونتف الشيب وكثرة الكحل والإسراف في الدهن وليكن كحلك غبا ولا تلح في الحاجات ولا تخشع في الطلبات ولاتعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم عدد مالك فإنهم إن رأوه قليلا هنت عليهم وإن كان كثيرا لم تبلغ به رضاهم وأخفهم في غير عنف ولن لهم قي غير ضعف ولا تهازل أمتك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عن عجلتك وتفكر في حجتك وأر الحاكم شيئا من حلمك ولا تكثر الأشارة بيدك ولا تحفز على ركبتيك وتوق حمرة الوجه وعرق الجبين وإن سفه عليك فاحلم وإذا هدأ غضبك فتكلم وأكرم عرضك وألق الفضول عنك وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان وإن أسترسل اليك فلا تأمن من انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهي ولا يحملنك ما ترى من الطافه إياك وخاصته بك أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه وإن كان لذلك منك مستمعا وللقول منك مطيعا فإن سقطه الداخل بين الملك وأهله صرعة لا تنهض وزلة لا تقال وإذا وعدت فحقق وإذا حدثت فاصدق ولا تجهر بمنطقك كمنازع

الأصم ولا تخافت به كتخافت الأخرس وتخير محاسن القول بالحديث المقبول وإذا حدثت بسماع فانسبه الى أهله وإياك الأحاديث العابرة المشنعه التي تنكرها القلوب وتفق لها الجلود وإياك ومضعف الكلام مثل نعم نعم ولا لا وعجل عجل وما أشبه ذلك وإذا توضأت فأجد عرك كفيك وليكن وضعك الحرض من الأشنان في فيك كفعلك بالسواك ولا تنخع في الطست وليكن طرحك الماء من فيك مترسلا ولا تمج فتنضح على أقرب جلسائك ولا تعض نصف اللقمه ثم تعيد ما بقى منها منصبغا فإن ذلك مكروه ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ولا تعبث بالمشاش ولا تعب شيئا مما يقرب اليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة ولا تمسك إمساك المثبور ولا تبذر تبذير السفيه المغرور واعرف في مالك واجب الحقوق وحرمة الصديق واستغن عن الناس يحتاجوا اليك واعلم ان الجشع يدعو الى الطبع والرغبة كما قيل تدق الرقبة ورب أكله تمنع أكلات والتعفف مال جسيم وخلق كريم ومعرفة الرجل قدره تشرف ذكره ومن تعدى القدر

هوى في بعيد القعر.

◉ **يابني:** الزم الصدق وإياك والكذب فإن الصدق زين والكذب شين والصدق يسرع عطب صاحبه.

◉ **يابني:** معاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان.

◉ **يابني:** زوجة السوء داء عضال ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه وطاعة النساء تزرى بالعقلاء

◉ **يابني:** تشبه بأهل العقل تكن منهم وتصنّع للشرف تدركه وأعلم أن كل امريء حيث وضع نفسه وإنما ينسب الصانع الى صناعته

◉ **يابني:** المرء يعرف بقرينه فإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم ويحزنون من صادقهم وقربهم أعدى من الجرب ورفضهم من استكمال الأدب واستخفار المستجير لؤم والعجله شؤم وسوء التدبير وهن والأصدقاء إثنان فمحافظ عليك عند البلاء وصديق لك في الرخاء فاحفظ صديق البلاء وتجنب صديق العافية فإنهم أعدى الأعداء ومن

اتبع الهوى مال به الردى ولا يعجبنك الجهم من الرجال ولا تحقر ضئيلا كالخلال فإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه وتوق الفساد وإن كنت في بلاد الأعادي ولا تفرش عرضك لمن دونك ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ولا تكثر الكلام فتثقل على الأقوام وامنح البشر جليسك والقبول ممن لاقاك.

◉ **يابني:** إياك وكثرة التبريق والتزليق فإن ظاهر ذلك ينسب الى التأنيث وإياك والتصنع لمغازلة النساء وكن متقربا متعززا منتهزا في فرصتك رفيقا في حاجتك متثبتا في حملتك والبس لكل دهر ثيابه ومع كل قوم شكلهم و إياك وما يعتذر منه ولا تعجل في أمر حتى تنظر في عاقبته ولا ترد حتى ترى وجه المصدر وعليك بالنورة في كل شهر مرة وإياك وحلاق الإبط بالنورة وليكن السواك من طبيعتك وإذا استكت فعرضا وعليك بالعمارة فإنها أنفع التجارة وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك ومن أكرم عرضه أكرمه الناس.

◉ **يابني**، اعلم أن ذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك.

◉ **يابني**، اعلم أن من أيسر أكبر ومن افتقر احتقر.

◉ **يابني**، قصر في المقالة مخافة الإجابة والساعي إليك غالب عليك وطول السفر ملالة وكثرة المنى ضلالة وليس للغائب صديق ولا على الميت شفيق وأدب الشيخ عناء وتأديب الغلام شقاء والفاحش أمير والوقاح وزير والحليم مطية الأحمق والحمق داء لا شفاء له والحلم خير وزير والدين أزين الأمور والسماجه سفاهة والسكران شيطان وكلامه هذيان والشعر من السحر والتهدد هجر والشح شقاء والشجاعة بقاء والهدية من الأخلاق السرية وهي تورث المحبة ومن ابتدأ المعروف صار دينا ومن المعروف ابتداء من غير مسألة وصاحب الرياء يرجع الى السخاء ولرياء بخير خير من معالنة بشر والعرق نزاع والعادة طبيعة لازمة إن خير فخير وإن شرا فشر ومن حل عقدا احتمل حقدا ومراجعة السلطان خرق بالإنسان والفرار عار والتقدم مخاطرة وأعجل منفعه إيسار في دعة وكثرة العلل من البخل وشر الرجال الكثير

الاعتلال وحسن اللقاء يذهب بالشحناء ولين الكلام من أخلاق الكرام.

◐ **يابني،** إن زوجة الرجل سكنه ولا عيش له مع خلافها فإذا هممت بنكاح امرأة فسل عن أهلها فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة.

◐ **يابني،** «اعلم أن النساء أشد اختلافا من أصابع الكف فتوق منهن كل ذات بذا مجبولة على الأذى».

* فمنهن المعجبة بنفسها المزرية ببعلها إن أكرمها رأته لفضلها عليه لا تشكر على جميل ولا ترضى منه بقليل لسانها عليه سيف صقيل قد كشفت القحة ستر الحياء عن وجهها فلا تستحي من إعوارها ولا تستحي من جارها كلبة هرارة مهارشة عقارة فوجه زوجها مكلوم وعرضه مشتوم ولا ترعى عليه لدين ولا الدنيا ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين حجابه مهتوك وستره منشور وخيره مدفون يصبح كئيبا ويمسي عاتبا شرابه مر وطعامه غيظ وولده ضياع وبيته مستهلك وثوبه وسخ ورأسه شعث إن ضحك

فواهن وإن تكلم فمتكاره نهاره ليل وليله ويل تلدغه مثل الحية العقارة وتلسعه مثل العقرب الجرارة

* ومنهن شفشليق شعشع سلفع ذات سم منقع وإبراق واختلاق تهب مع الرياح وتطير مع كل ذي جناح إن قال لا قالت نعم وإن قال نعم قالت لا • مولدة لمخازيه محتقرة لما في يديه تضرب له الأمثال وتقصر به دون الرجال وتنقله من حال الى حال حتى قلا بيته ومل ولده وغث عيشه وهانت عليه نفسه وحتى أنكره إخوانه ورحمه جيرانه

* ومنهن الورهاء الحمقاء ذات الدل في غير موضعها الماضغه للسانها الآخذة في غير شأنها قد قنعت بحبه ورضيت بكسبه تأكل كالحمار الراتع تنتشر الشمس ولما يسمع لها صوت ولم يكنس لها بيت طعامها بائت وإناؤها وضر وعجينها حامض وماؤها فاتر ومتاعها مزروع وماعونها ممنوع وخادمها مضروب وجارها محروب

* ومنهن العطوف الودود المباركة الولود المأمونه على غيبها المحبوبة في جيرانها المحمودة في سرها وإعلانها الكريمة

التبعل الكثيرة التفضل الخافضة صوتا النظيفة بيتا خادمها مسمن وابنها مزين وخيرها دائم وزوجها ناعم مومقه مالوفه وبالعفاف والخيرات موصوفة.

جعلك الله يا بني ممن يقتدي بالهدى ويأتم بالتقى ويجتنب السخط ويحب الرضى الله خليفتي عليك والمتولي لأمرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا (روضة العقلاء ١/ ١٩٨).

* **وصية والد لولده:** جلس جعفر الصادق وموسى الكاظم بين يديه وهو يوصيه بوصية: فقال يا بني: اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعيش سعيدا وتموت حميدا يا بني من رضي بما قسم له استغنى ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيرا ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن سل سيف البغى قتل به ومن احتفر لأخيه بئرا سقط فيها ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ومن

دخل مداخل السوء اتهم يا بني إياك أن تزري بالرجال فيزرى بك وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتذل لذلك يا بني قل الحق لك أو عليك تستشان من بين أقرانك يا بني كن لكتاب الله تاليا وللإسلام فاشيا وبالمعروف آمرا وعن المنكر ناهيا ولمن قطعك واصلا ولمن سكت عنك مبتدئا ولمن سألك معطيا وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال وإياك والتعرض لعيوب الناس فمنزلة التعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه فإن للجود معادن وللمعادن أصولا وللأصول فروعا وللفروع ثمرا ولا يطيب ثمر إلا بأصول ولا اصل ثابت إلا بمعدن طيب يا بني إن زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجار فإنهم صخرة لا ينفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا يظهر عشبها قال علي بن موسى فما ترك أبي هذه الوصية إلى أن توفي.

تقوى الله هي القياس

روى أبو نعيم عن عبدالله بن شبرمة قال دخلت أنا

وأبو حنيفة على جعفر بن محمد فقال لابن أبي ليلى من هذا معك قال هذا رجل له بصر ونفاذ في أمر الدين قال لعله يقيس أمر الدين برأيه قال نعم قال فقال جعفر لأبي حنيفة ما اسمك قال نعمان قال يا نعمان هل قست رأسك بعد قال كيف أقيس رأسي قال ما أراك تحسن شيئا هل علمت ما الملوحة في العينين والمرارة في الأذنين والحرارة في المنخرين والعذوبة في الشفتين قال لا قال ما أراك تحسن شيئا قال فهل علمت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان فقال ابن أبي ليلى يا ابن رسول الله أخبرنا بهذه الأشياء التي سألته عنها فقال أخبرني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال إن الله تعالى بمنه وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنهما شحمتان ولولا ذلك لذابتا وإن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل المرارة في الأذنين حجابا من الدواب فإن دخلت الرأس دابة والتمست إلى الدماغ فإذا ذاقت المرارة التمست الخروج وإن الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل الحرارة في

المنخرين يستنشق بهما الريح ولولا ذلك لأنتن الدماغ وإن الله تعالى بمنه وكرمه ورحمته لابن آدم جعل العذوبة في الشفتين يجد بهما استطعام كل شيء ويسمع الناس بها حلاوة منطقه قال فأخبرني عن الكلمة التي أولها كفر وآخرها إيمان فقال إذا قال العبد لا إله فقد كفر فإذا قال إلا الله فهو إيمان ثم أقبل على أبي حنيفة فقال يا نعمان حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس قال الله تعالى له اسجد لآدم فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس لأنه اتبعه بالقياس زاد ابن شبرمة في حديثه ثم قال جعفر أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا قال قتل النفس قال فإن الله عز وجل قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة ثم قال أيهما أعظم الصلاة أم الصوم قال الصلاة قال فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة فكيف ويحك يقوم لك قياسك اتق الله ولا تقس الدين برأيك (حلية الأولياء).

الأنفاس معدودة

* **ووعظ أعرابي ابنه فقال**: لا الدهر يعظك ولا الأيام تنذرك والساعات تعد عليك والأنفاس تعد منك أحب أمريك إليك أردهما بالمضرة عليك

ووجد على حجر مكتوب: ابن آدم لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة في عملك ولقصرت من جهلك وحيلك وإنما يلقاك ندمك إذا زلت قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وباعدك الولد القريب ورفضك الولد والنسيب فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة [الياقوتة ١ / ١١٥].

◉ **يابني**، أما بعد : فإنك لم تكلف من الدنيا إلا نفسا واحده فان أنت أصلحتها لم يضرك فساد من فسد بصلاحها وان أنت أفسدتها لم تنتفع بصلاح من صلح بفسادها واعلم انك لا تسلم من الدنيا حتى لا تبالي من

أكلها من احمر أو اسود [تهذيب الكمال ٣٣ / ١٠].

** عن سعيد بن المسيب، قال: كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ: «أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرا وأنت تجد له في الخير محملا، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه، ومن كتم سره كانت الخيرة في يديه، وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وعليك بإخوان الصدق، فكثر في اكتسابهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعدة عند عظيم البلاء، ولا تهاون بالحلف فيهينك الله، ولا تسألن عما لم يكن حتى يكون، ولا تضع حديثك إلا عند من يشتهيه، وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله عز وجل، وشاور في أمرك الذين يخشون ربهم بالغيب» وقد روينا بعض هذه الألفاظ عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه (شعب الإيمان للبيهقي برقم ٨١١٤).

يابني: اخلع رداء الكبر عن عاتقك وضع تاج الهيبة عن رأسك وانزع قميص التجبر عن جسدك وفتش نفسك وانشر سرك وألق جلباب الحياء عن وجهك مستكينا بين يدي ربك فأنا واعظك عن الحق فكن مستمعا بحسن القبول فينفعني الله بما أقول وينفعك بما تسمع واعلم أن الله جل ثناؤه امتحنك بالنعم وابتلاك بالشكر ففضل النعمة أحسن لتستغرق بقليلها كثيرا من شكرك فكن لله تعالى شاكرا ولآلائه ذاكرا تستحق منه المزيد واتق الله في السر والعلانية تستكمل الطاعة واسمع لقائل الحق وإن كان دونك تشرف عند الله وتزد في عين رعيتك واعلم أن الله سبحانه وتعالى يفتش سرك فإن وجده بخلاف علانيتك شغلك بهم الدنيا واستغنى الله والله غني حميد وإن وجده موافقا لعلانيتك أحبك وصرف هم الدنيا عن قلبك وكفاك مؤونة نظرك لغيرك وترك لك نظرك لنفسك وكان المقوي لسياستك ولن تطاع إلا بطاعتك لله تعالى فكن له طائعا تكتسب بذلك السلامة في العاجل وحسن

المنقلب في الآجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

◉ **يابني:** احذر الله حذر عبد علم مكان عدوه وغاب عنه وليه فتيقظ خوف السرى لا تأمن من مكر الله لتواتر نعمه عليك فإن ذلك مفسدة لك وذهاب لدينك وأسقط المهابة في الأولين والآخرين وعليك بكتاب الله الذي لا يضل المسترشد به ولن تهلك ما تمسكت به فاعتصم بالله تجده تجاهك وعليك بسنة رسول الله ﷺ تكن على طريقة الذين هداهم الله فبهداهم اقتده وكن لله كما تحب أن يكون لك أولياؤك من العامة من السمع والطاعة فإنه (ما ولي أحد على عشرة من المسليمن فلم يحطهم بنصيحة إلا جاء يوم القيامة ويده مغلولة إلى عنقه لا يفكها إلا عدله) وأنت أعرف بنفسك.

◉ **يابني:** اقبل الحق ممن جاءك به وإن كان بعيدا بغيضا واردد الباطل على من جاءك به وإن كان حبيبا قريبا وآخ الإخوان على قدر تقواهم ولا تجعل لسانك بذلة لمن لا يرى فيه ولا تغبط الحي إلا بما تغبط الميت.

● **يابني،** إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية فتكون ممن أزال يقينه بشك ولكن القه وقل له بلغني عنك كذا وكذ وأجدر أن تسمى من بلغك فإن أنكر ذلك فقل له أنت أصدق وأبر ولا تزيدن على ذلك شيئا وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجها بعذر فاقبل منه وإن لم يرد ذلك فقل له ماذا أردت بما بلغني عنك فإن ذكر ماله وجه من العذر فاقبله وإن لم يذكر لذلك وجها لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ اثبتها عليه سيئة أتاها ثم أنت في ذلك بالخيار إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة وإن شئت عفوت عنه والعفو أبلغ للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورى: ٤٠] فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك ولا تبخس باقي إحسانه السالف بهذه السيئة فإن ذلك الظلم بعينه فشعار الرجل الصالح: (رحم الله من كافأني على إساءتي من غير أن يزيد ولا يبخس حقا لي).

◉ **يابني:** إذا كان لك صديق فشد يديك به فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقته سهل وقد كان الرجل الصالح يشبه سهولة مفارقة الصديق بصبي يطرح في البئر حجرا عظيمًا فيسهل طرحه عليه ويصعب إخراجه على الرجال

◉ **يابني:** الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط

◉ **يابني:** رضي الناس غاية لا تدرك وليس لي إلى السلامة من سبيل فعليك بما ينفعك فالزمه

◉ **يابني:** قبول السعاية أضر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز والساعي ممقوت إذا كان صادقا لهتكه العورة وإضاعته الحرمة ومعاقب إن كان كاذبا لمبارزته الله بقول البهتان وشهادة الزور.

◉ **يابني:** نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن النطق به فإن المستمع شريك القائل وإن السفيه

ينظر إلى أخبث شيء في وعائه فيحرص أن يفرغه في وعائك ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها.

- **يابني:** أنفع الذخائر التقوى وأضرها العدوان.
- **يابني:** ليس العلم ما حفظ. بل العلم ما نفع.
- **يابني:** اعلم أن من تعلم القرآن جل في عيون الناس ومن تعلم الحديث قويت حجته ومن تعلم النحو تهيبه الورى ومن تعلم العربية رق طبعه ومن تعلم الحساب جل رأيه ومن تعلم الفقه نبل قدره ومن لم يضر نفسه لم ينفعه علمه وملاك ذلك كله التقوى.
- **يابني:** اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.
- **يابني:** احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر وكل من به عاهة في بدنه وكل ناقص الخلق فاحذره فإن فيه التواء ومخالطته معسرة.
- **يابني:** إنك ما رفعت أحدا فوق منزلته إلا وضع منك بمقدار ما رفعت منه.

◉ **يابني،** عليك بقول عبدالله بن مسعود حيث قال: إن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة إبراهيم وأحسن السنن سنة محمد ﷺ وخير الهدى هدى الأنبياء وأشرف الحديث ذكر الله وخير القصص القرآن وخير الأمور عواقبها وشر الأمور محدثاتها وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ونفس تنجيها خير من أمارة لا تحصيها وشر العذيلة حين يحضر الموت وشر الندامة ندامة القيامة وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى وخير ما ألقى في القلب اليقين والريب من الكفر وشر العمى عمى القلب والخمر جماع كل إثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون والنوح من عمل الجاهلية ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبرا ولا يذكر الله إلا هجرا وأعظم الخطايا الكذب وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يغفر يغفر الله له ومن يصبر على الرزية يعقبه الله وشر المكاسب كسب الربا وشر المأكل مال اليتيم

والسعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي في بطن أمه وإنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه وإنما يصير إلى أربعة أذرع والأمر إلى آخرة وملاك العمل خواتمه وشر الروايا روايا الكذب وأشرف الموت قتل الشهداء ومن يعرف البلاء يصبر عليه ومن لا يعرفه ينكر ومن يستكبر يضعه ومن يتولى الدنيا تعجز عنه ومن يطع الشيطان يعص الله ومن يعص الله يعذبه [حلية الأولياء ١ / ١٣٨].

ويابني تخلق بأخلاق شباب الإسلام وكن غيورا على دينك وإياك ومجون الجنس الثالث الذين لايعرفون إلا الشهوات والشيطان.

رقصوا على أنغامه وتبادلوا
صور الخليع محبة وغراما
في الأذن مرط لامع متموج
في الجيد عقد فوق صدرٍ هاما
في المعصمين أساور فوق الكعـ
ـوب خلاخل والخصر لف حزاما

وأظـــافر مـــسنونة وأنامـــل
مـــصبوغة وخـــواتم أحجامـــا
رســـموا الحواجـــب والجفـــون وتحتهـــا
نـــصبوا الرمـــوش أســـنة وســـهاما
شـــفة كجمـــر النـــار تحـــرق أنفـــسًا
لـــم تنـــأ عـــن ثـــدي الفـــساد فطامـــا
باروكـــة في الـــرأس آخـــر بدعـــة
تخفـــى الزواحـــف تحتهـــا أكوامـــا
أنـــا لـــم أعـــد أدرى فتـــاةً أو فتـــى
هـــذا الـــذي قـــد حيـــز الأحلامـــا
يمـــشى فتمـــشى خلفـــه كـــل الميـــو
عـــة فتنـــة ورشـــاقة وهيامـــا
لـــم يبـــق إلا الـــصدر يـــنفخ بـــالنهود
ونـــستريح مـــن الـــشكوك تمامـــا

قلـــب الكـــوافير الـــذكور أوانـــسًا
يـــا ويحـــه قلـــب الـــصقور حمامـــا
وأضـــاف للجنـــسين جنـــسًا ثالثًـــا
فتحولـــت صـــور الأســـود نعامـــا
العقـــل مـــن شـــرب الـــسموم مخـــرف
والجـــسم يـــشكو الـــضعف والأســـقاما
يـــا ليـــتهم ذكـــروا الجيـــاع فقـــدموا
أثمانهـــا للجـــائعين طعامـــا
لبـــسوا مـــن الأزيـــاء مـــا تهـــوى النـــسا
يـــا ليـــتهم لبـــسوا الـــدروع وســـاما
يـــا ليـــتهم ذكـــروا إذا عـــز الفـــدا
قانـــا وجينـــين ولـــو أيامـــا
يـــا ليـــتهم ســـمعوا إذا لـــم يقـــرأوا
صـــوت المـــدافع تحـــصد الأيتامـــا

يــا ليــتهم قــرأوا إذا لــم يــسمعوا

قــول العــدا ســنقبر الإســلاما

◉ **يا بنيتي،**

أيتها الدرة المكنونة.. والجوهرة المصونة.. واللمسة الحنونة..

يا من ملأ حبك أركاني.. و حاز شأنك جلّ اهتمامي..
و بمظهركِ الفاتن طار عقلي واختلّ اتزاني!

غادر الكرى عيني؛ وقطّع الحزن قلبي؛ وعبث الهم بأشجاني..

فلم يخطر لي ببال.. ولم أتوقع هذه الحال!

◉ **يا بنيتي،** لم أتوقّع أن تجري خلف العدو ليقتلك.. ولم أتصوّر أن تحدّي شفرته ليسيل على يده دمك، ومن ثَمّ دم أحبابك وأبناء دينك!!

ربما تعجبتِ من كلماتي.. ولم ترُق لكِ عباراتي، وقد تقولين: كيف قتلني عدوّي ولم أزل أستنشق عبير الحياة

وقلبي ينبض بحبها؟!؟

وكيف أجرى العدو دمي ولم أرَ دمًا ولا سكينًا؟!!

فأقول لكِ يا بنيتي...

تذكري أن عدونا - نحن المسلمين - هو الكافر وأعوانه وأولياؤه وأصحابه، لم يستطيعوا مواجهتنا بالسلاح الحسيّ (السيف والرصاص) فهم أعرف بمدى قوتنا وشجاعتنا، وتاريخهم يذكرهم بجند الله الذين يقاتلون معنا فلا نراهم ولكن يرونهم هم فتطير عقولهم فزعًا.. وتنخلع قلوبهم خوفًا من كثرة الجند وقوتهم!!

عجزوا عن مواجهتنا بهذا النوع من السلاح، فبدأوا بغزوهم الفكري، وقد نجحوا وأسقطوا عددًا من القتلى.. فوا أسفي على بني قومي ويا حزني على كرامتهم..!

وإن أعظم وأقوى سلاح استخدموه في حربهم هذه هو (المرأة العربية المسلمة) فدعوها إلى السفور والتبرج ليفتنوا بها شباب الإسلام ويصرفوا قلوبهم عن إليها لتخلوا من الإيمان وحب الرحمن، إلى حب شهوات الدنيا الفانية

والتعلّق بجمالها الزائف، وبذلك تخور العزائم.. وتضعف الهمم.. ويجبن الشجعان!!

بدأوك بالموضة والأزياء وكل جديد جذاب، وتدرّجوا معكِ شيئًا فشيئًا وأنتِ تنفذين ما يمليه عليكِ أعداؤكِ دون أن تشعرين..! وهذا معنى قولي لكِ: (لم أتوقّع أن تجري خلف العدو ليقتلكِ، ولم أتصوّر أن تحدّي شفرته ليسيل على يده دمك)!

يؤسفني – يا بنيتي – أن أُعلِمكِ عن أناس من بني جلدتنا، ويأكلون معنا، ويمشون في أسواقنا، وينتسبون لديننا.. ولكن قلوبهم لعدونا وعدوهم موالية.. وأقلامهم وكلمتهم تعشق الغربي الكافر، وأجسامهم و مظاهرهم تحاكي مظهر الكافر الشقي الذي لم يسعد في دنياه ولن يفرح في أخراه.. والعياذ بالله أن نكون كهؤلاء.

◉ **يا بنيتي:** إن الناظر إلى حال نساء زماننا يتفطّر قلبه ألمًا وحسرة.. وتدمع عينه حزنًا وقهرًا.. فقد أصبح حجابهن زينة، وسترهن تفسّخ وعريّ، متّبعات في ذلك

الخريطة التي رسمها أعداؤنا من الشرق والغرب..!

فهل عرفنا في الإسلام عباءةً مطرّزة..؟.. وهل سمعنا بطرحةٍ مزركشة..؟.. أم هل رأينا في تاريخ الإسلام غطاء وجهٍ شفاف؟!!

إنه والله أمرٌ يتقطّع له نياط القلب ويندى من هوله الجبين..

فالإسلام فرض الحجاب لحكمةٍ عظيمة..وفوائد جسيمة.

الحجاب عبادة فيها السعادة.. وجمال يفوق كل جمال.. وراحة تنسي كل راحة!!

فرض الله الحجاب ليستر المرأة عن الأجانب، بل عن أعدائها من الجنس الآخر، ليحميها من ذئاب البشر.. وأعداء العفاف والطهر، ليحفظها من أعين الماكرين الخائنين.. ويرفعها عن مستنقعات العار وأوحال الرذيلة!

حجب الإسلام المرأة عن الرجال كي تبقى درةً غالية، وجوهرة مصونة، لا تعبث بها أيدي السارق، ولا تطولها عين الغادر...

حجب الإسلام المرأة لتبقى عزيزةً نظيفة، عفيفةً

شريفة، ويتمناها التقي، ويخشاها الشقي!

فقد قال بعض أهل الفساد عندما سئلوا عن نظرتهم للفتاة المتحجبة: نحن نخشى الاقتراب من الفتاة المحجبة، ونستحي من النظر إليها مع كونها محجبة حجابًا كاملًا ولا يظهر منها ظفر! فنبتعد عن طريقها، و نغار عليها من نظرات الرجال وكأنها أخت لنا أو أم أو قريبة!

سبحان الله!! هذا كلام ذئاب البشر عن الفتاة المحجبة.. فما بالكِ يا بنيتي بكلام الأتقياء الأنقياء الشرفاء..؟

إنهم يدعون لكل فتاة محجبة بأن يحفظها الله من كل سوء، وأن يثبتها على صراطه المستقيم.. وأن ييسر لها الخير حيث يكون، ويصرف عنها الشر مهما يكون..

بل إن بعضهم ليفتخر بها ويعتز بحجابها ويتمنى أن تكون زوجته أو أبنته أو أخته!

فالحجاب عزة وفخر للمرأة والرجل معًا.. ولم يكن الحجاب يومًا منقصةً أو مذلةً أو ظلمًا.

بل إن الإسلام أعزّ المرأة بالحجاب وصانها بالخمار

وحفظها بالغطاء

المرأة المسلمة المحجبة كالملكة في بيتها، وكالسيدة في قومها.. لا تمشي إلا بمعية حارسها الشخصي!! يرافقها في السوق والمستشفى والشارع، ويوصلها إلى عملها –إن كانت عاملة– ويحميها و يحرسها من الكلمات والنظرات المؤذية.

يمشي معها بعزةٍ وفخر... وتمشي معه بطمأنينةٍ وأمان..!

فهي لا تخشى على نفسها من كيد الأعداء لأنها محجبة – والحجاب شعار العفاف والطهر– وبوجود حارسها يحميها ويحفظها بحفظ الله

يحرسها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو أحد محارمها الذين سرَتْ نار الغيرة في عروقهم.. وتمشّت بين شرايينهم ودمائهم.

فلن يسمحوا لأحد بالاقتراب منها أو الحديث معها، ، فأي سعادة وراحة وحرية أكثر من هذه؟!

◉ **يا بنيتي:** تذكري أن من تركت الحجاب فقد عصَت رب الأرباب، وتنازلت عن الشرف والعفاف،

وعرضَت نفسها لأشرار الذئاب – ظانَّةً – أنها أجمل امرأة في أعينهم، وما علمَت أنها كالحلوى المكشوفة لا يأخذها إلا الحشرات والهوام!! أما الإنسان العزيز النظيف لا يرضى بأن يأخذ هذه الحلوى لأنه يعلم أنها لم تبقَ مكشوفةً إلا لقذارتها وفسادها ومرور الدواب عليها..!

فالمرأة كتلك الحلوى.. إن بقيت محجبة مصونة رغبها كل من رآها، و إن كانت متبرجة متفسخة عافها الكل ولم يأتها إلا حشرات البشر ليأخذوا منها أنظف ما فيها وأعز ما تحمله ثم يتركونها ملقاةً على الأرض تدوسها الأقدام.. ويتأفف منها الكرام!

فهل ترضين هذا لنفسكِ أختي الحبيبة؟.. هل ترضين المذلة والسقوط؟

أم الرفعة والعزة والكرامة؟

أمامك طريقان فاختاري أحدهما.. فإما نجاة وإما عذاب في الدنيا والآخرة!!

◉ **يا بنيتي،** قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ

تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٨].

تأملي معي كيف بدأ الله بزوجات وبنات النبي ﷺ.. بدأ بالعفيفات الطاهرات، الصالحات الزاهدات.. أمرهن بالحجاب والجلباب، ونهاهن عن التكشف والتبرج وهن أمهات المؤمنين وسيدات نساء الجنة، ومن أمِرنَ بالتحجّب والتستر عنهم هم صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.. أصحاب القلوب الطاهرة والنفوس العفيفة..!!

ما بالكِ برجال ونساء زماننا؟!!

◐ **يا بنيتي**؛ ما بالكِ بمن يقضون ساعات طوال أمام قنوات الفساد والدمار وتشبعت قلوبهم بحب الشهوات المنكرات، وطارت عقولهم شوقًا إلى لقاء حبيبة، أو رؤية جميلة، أو سماع صوت خليلة!!

فو الذي نفسي بيده إن الأمر بالحجاب ليشتدّ ويغلّظ في زماننا هذا، وإن مسئوليتك أمام الله عظيمة لأنك موضع فتنة – وهي أعظم فتنة على أمة محمد ﷺ – قال عليه الصلاة

والسلام: «ما تركت بعدي فتنةً أشدّ على الرجال من النساء».

◉ **يا بنيتي:** قلوب الرجال في هذا الزمان مريضة -إلا من رحم ربي، وقليل ما هم- وأعينهم تصول وتجول في مجتمعات النساء، ونفوسهم تتوق إلى الشر والفساد.. ثم تأتي الفتاة المتبرجة السافرة عن محاسنها لتأجج نار الفتنة في صدورهم وتساعدهم على الاقتراب منها، والوقوع معها في مستنقعات الفساد والعار، وفي النهاية يخرج ذلك الشاب من مستنقعه ليغسل ما به من قاذورات ونجاسات بماء التوبة ويعيش حياته من جديد - هذا إن كان له قلب حيّ يخشى عذاب الله -أما أنتِ أيتها المسكينة فستبقين عارًا على نفسك و أهلك ولن يغفر لك المجتمع زلتك، أو يتجاوز عن جريمتك.. حتى لو غسلتِ قلبكِ بماء التوبة والرجوع إلى الله.. فمن سيغسل جسدك مما أصابه من خراب ودمار؟؟!

أظنكِ فهمتِ ما أرمي إليه فانتبهي قبل فوات الأوان، وقبل أن تقعي فتندمي.. ولن ينفع ساعتها ندم ولا بكاء، ولا حزن ولا دموع...!

◉ **يا بنيتي:** العاقل هو الذي يتأمل ما وصل إليه حال النساء اليوم ليحترق أسى، ويذوب حياءً، ويكتوي لوعةً، ويلتهب حرقة!.. حق للقلوب المؤمنة أن تتقطع ألمًا، وحان للأعين الصادقة أن تبكي دمًا، فكيف يهنأ المؤمن زادًا، وكيف يسيغ شرابًا، ويبشّ هانئًا، وينام قريرًا، وهو يرى ما يمض الأجسام.. ويمزق الأفئدة، ويبدد القلب..!

لقد حقق هؤلاء النساء أمنية (أوسكارليفي) اليهودي عندما قال: (نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه.. ومحركي الفتن وجلاّديه).. إن لليهود باعًا كبيرًا في مجال تحطيم الأمم عن طريق المرأة..

◉ **يا بنيتي:** لقد لقيت المرأة المسلمة من التشريع الإسلامي عناية فائقة كفيلة بأن تصون عفتها وتجعلها عزيزة الجانب، سامية المكان، وإن الشروط التي فرض عليها في زينتها وملبسها لم تكن إلا لسد ذريعة لفساد، وهذا ليس تقييدًا لحريتها بل حماية لها أن تسقط في درك المهانة ووحل الابتذال، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله

حييّ ستّير يحب الحياء والستر ».....)

◉ **يا بنيتي:** الحرب ضدك تدور، وأنتِ الهدف والغاية.. إن أعداءنا من الغرب يعقدون جلسات مطوّله يصممون فيها لكِ موديلًا جذابًا.. يأخذ العقول ويجذب القلوب إليكِ و يذهب بالأبصار.. أتعلمين لم هذا الموديل..؟

إنه لعباءتك التي فُرِضَت عليكِ لتسترك وتصرف الأعين عنكِ ولتعيشي عفيفةً نظيفة...!

◉ **يا بنيتي:** استدرجوا في خلع حجابك من على رأسك لينتصروا عليكِ ويخرجوكِ من بيتك متبرجة سافرة، قد خلعتِ الحياء قبل أن تخلعي الجلباب.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

◉ **يا بنيتي:** احرصي على سماع شريط (قصة عباءة) للشيخ محمد الهبدان – حفظه الله:

ليبين لك– كيف حدث هذا التدرج بخلع الحجاب:

[بدأوا بخطوة العباءة الخفيفة الشفافة واستمروا عليها فترة ليست بالقصيرة.. ثم انتقلوا إلى خطوة أخرى وهي العباءة القصيرة.. حتى إذا مر عليها زمن – وتحركت

القلوب المؤمنة – لتظهر العباءة الطويلة.. انزعجوا منها فقالوا: لا ضير.. اجعلوها طويلة ولكن فيها قيطان بأطراف العباءة فقط.. ووقفوا قليلًا عند هذه الخطوة!

لم يجدوا من يعارض، الكثيرات معجبات، والإقبال يتزايد!إذًا فلتخرج موضة العباءة على الكتف فهي أيسر للمرأة والدين يسر!

ويعدها فُتِحَ الباب على مصراعيه، و انهدر سيل من البلاء، تارةً بتشكيلات من القيطان ذات اليمين وذات الشمال، وتارةً بالكلف العريضة ذات الفصوص اللامعة، ثم الدانتيل الجميل لتكون اليد أجمل، ثم المخرمة والمطرزة من الخلف و الأمام، ثم أخيرًا أبوانًا مختلفة من التطريز].

وأضافوا ألوانًا مختلفة كالأصفر والأحمر والأخضر والبرتقالي، ومنهم من صمم عباءة للعروس وعباءة للجامعة، و للمدرسة والسهرة والطبيبة... فإنا لله وإنا إليه راجعون!

وإن مما يزيد الطين بلة.. ويحرق القلب ويدمع العين أن من صممت هذه الموديلات ولهذه الأغراض هي امرأة مسلمة..!

نسأل الله أن يهديها ويردها إليه ردًا جميلًا.. لقد تخلت عن دينها وأخلاقها وجمالها، ونسيت أو تناست أن خمار المرأة يجملها و يزيدها وقارًا و بهاءً.. حتى إذا دخلت الجنة – نسأل الله أن نكون من أهلها – فإنها تتبعل وتتجمل لزوجها بهذا الخمار!

و العباءة المطرزة و الملونة و المخرمة من زينة المرأة التي حرم الله عليها أن تظهرها لغير محارمها المذكورين في الآية السابقة.. بل إن هذا النوع من العباءة يحتاج إلى عباءة تستر الزينة عن أعين الرجال!

* يقول ابن القيم فيامتاع السامعين في وصف الحورالعين صـ ٧ في وصف عرائس الجنات:

ونصيف إحداهن وهو خمارها
ليست له الدنيا من الأثمانِ
له هاتيك الخيام فكم بها
للقلب من علَقٍ ومن أشجانِ

فــيهن حــور قاصــرات الطــرف خيــ
ــرات حــسان هــن خيــر حــسانِ
خيــرات أخــلاق حــسان أوجهًــا
فالحـــسن والإحـــسان متفقـــانِ

روى البخاري من حديث أنس بن مالك: عن النبي ﷺ «الروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل النار لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» صحيح البخاري رقم٢٦٤٣.

(موضع قيد) مقدار قيد وهو السوط المتخذ من الجلد الذي لم يدبغ.

(ما بينهما) ما بين السماء والأرض. (ريحا) عطرا.

(لنصيفها) خمارها وهو ما يغطى به الرأس].

فإذا كان هذا الجمال في الخمار فكيف بجمال من تلبس الخمار؟ وسبحان الله الذي أتقن كل شي!!... وبمناسبة ذكر الخمار أقول لمن تركت الخمار فضلًا عن النقاب والحجاب:

انظري كيف كان الخمار من محاسن الجمال على رأس الحورية في الجنة، في حين تتعلل الواحدة منكن بأنها لا تلبس الخمار لأنها لا تكون فيه أنيقة ولا تليق فيه، وأخرى تتعلل بأنها ستلبسه بعد الزواج، والعجيب أن بعض النساء تلبسه أيضًا لأنها -كما تقول- ترى جمالها وأناقتها وشخصيتها فيه، وأقول للأخيرة هذه: اجعليها لله فالأعمال بالنيات.أ.هـ

◉ **يا بنيتي:**

؟!.: أبعد هذا تشكِّين في وجوب تغطية الوجه..!؟

سؤال: الفرح والحزن.. تلك المشاعر أين تبدو؟

حديث العيون وفتنتها.. أين يكمن؟

الاهتمام أو اللامبالاة.. كيف نحس بهما؟

علامات الجمال والملاحة.. مشاعر الحب أو الكراهية.

كلها نقرأها في صفحات الوجه.. فهل توافقينني الرأي...؟

◉ **يا بنيتي:** لو قدمت لك سبع صور (لأيدي نساء)، وطُلب منك أن تحددي المرأة الجميلة من الدميمة من خلال صور أيديهن فقط!

أظنك ستقولين بتعجب: بالتأكيد لن أستطيع تحديد ذلك، فقد تكون اليد جميلة بينما صاحبتها دميمة، فمن الظلم أن أحكم على جمال امرأة من خلال يدها!!

◉ **يا بنيتي:** إنك لو حكمت على جمال امرأة من خلال صورة يدها لخالفك الجميع في ذلك بينما لو قدمت لك سبع صور لوجوه نساء مختلفات، لحددت مباشرة الجميلة من الدميمة دون أن تحتاجي لأن تطلبي رؤية يدها ولا قدمها!.. فالأمر واضح أمامك وسيؤيدك الجميع إلى ما ذهبت إليه..

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: « ولا يخفى أن وجه المرأة هو أصل جمالها، ورؤيته من أعظم أسباب الافتتان بها -كما هو معلوم- والجاري على قواعد الشرع الكريم هو تمام المحافظة والابتعاد عن الوقوع فيما لا ينبغي» -أضواء البيان (٦/ ٢٠٠)-.

◉ **يا بنيتي:** انتبهي! نعم انتبهي جيدًا...!

ففي الآن أمام المرآة وتحسسي وجهك بيديك.. وتأملي تلك النضارة.. تأمليها بعمق.. هل هان عليك أن تلفحه النار؟ فيسقط الجلد وتبقى العظام!...

احفظي وجهك في الدنيا من تلك النظرات الحارقة ليحفظه الله من حرقة جهنم.. واستريه عن غير محارمك فإن الفتنة إن لم تكن في الوجه والعينين فأين تكون؟!...

نعم... إن لم تكن في الوجه فأين تكون...؟؟

◉ **يا بنيتي،** تعرفي على مصدر الفتنه و استريه لا تظهريه..فان عزنا بإسلامنا و حجابنا....

زعموا السفور و الاختلاط وسيلة
للمجد قوم في المجانة أغرقوا
كذبوا متى كان التعرض للخنا
شيئًا تعز به الشعوب وتسبقُ

اللهم احفظنا من التبرج والسفور وثبتنا أمام تيارات الغرب الحاقدة [كتاب (كيف تحتسبين الأجر في حياتك اليومية) لـ(هناء الصنيع)].

قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ

بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

أختاه يا بنت الخليج تحشمي
لا ترفعي عنكِ الخمار فتندمي
هذا الخمار يزيد وجهك بهجةً
وحلاوة العينين أن تتحجبي
صوني جمالكِ إن أردتِ كرامةً
كي لا يصول عليكِ أدنى ضيغم
لا تعرضي عن هدي ربكِ ساعةً
عضي عليه مدى الحياة لتغنمي

نعم.. لا تعرضي عن هدي الله فيعرض الله عنك، فتذكري معي قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ

مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ
حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

◉ **يا بنيتي،** الله أكبر!!... هل استغنيت عن رحمة الله حتى في ذلك اليوم العظيم؟!..وكيف يقبل عليكِ الله برحمته – وهو والله غني عنكِ وعن عبادتك – ثم تعرضين وتشترين الحياة الدنيا بالآخرة؟... إنه والله خسران مبين.

واعلمي أن الله لم يظلمكِ بهذا الحجاب، بل أنصفكِ ورفعكِ ورفع شأنك بهذا الخمار.

ما كان ربكِ جائرًا في شرعه
فاستمسكي بعراه حتى تسلمي

ودعي هراء القائلين سفاهةً
إن التقدم في السفور الأعجم

إن الذين تبرأوا عن دينهم
فهمُ يبيعون العفاف بدرهم

حلـــل التبـــرج إن أردتِ رخيـــصةً

أمـــا العفـــاف فدونـــه ســـفك الـــدم

◉ يا بنيتي، ... أرجوك...

لا تمنحـــي المستـــشرقين تبـــسمًا

إلا ابتـــسامة كاشـــرٍ مـــتجهّمِ

أنـــا لا أريـــد بـــأن أراكِ جهولـــةً

إن الجهالـــة مـــرة كـــالعلقمِ

فتعلمـــي وتثقفـــي و تنـــوري

والحـــق يـــا أختـــاه أن تتعلمـــي

لكننـــي أمـــسي وأصـــبح قـــائلًا

أختـــاه يـــا بنـــت الخلـــيج تحـــشمي

واعلمي بنيتي أنه ما نزعتِ الحجاب.. وتخلت عن الجلباب.. وسارت سافرةً أمام الأجانب إلا امرأةً فقدت الحياء.. وحاشاك أنت تكوني كتلك!

فإنه لا إيمان بلا حياء، ولا جمال في المرأة بلا حياء، وما مُدِحَت المرأة إلا بحيائها وعفتها وأدبها، وكانت مثلًا

يضرب به في الحياء.. فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ أشدّ حياءً من العذراء في خدرها.

ويؤلمني والله أن أكثر الفتيات في زماننا هذا قد فقدن الحياء - أو على أقل تقدير - لم يعد للحياء عندهن شأن.. بل هو رمز ودليل على الساذجات..!

يا بنيتي:

صوني حياءك صوني العرض لا تهني
وصابري واصبري لله واحتسبي
إن الحياء من الإيمان فاتخذي
منه حليّك يا أختاه واحتجبي
ويا لقبح فتاة لا حياء لها
وإن تحلّت بغالي الماس و الذهبِ
إن الحجاب الذي نبغيه مكرمة
لكل حواء ما عابت و لم تعبِ
نريد منها احتشامًا عفةً أدبًا
وهم يريدون منها قلة الأدبِ!

و إن أردتِ واضطررت للسفر لخارج بلاد المسلمين – المتمسكين بحجابهم – فلا تفرطي في حجابك بزعم أنه غريب على أهل تلك البلاد، وأنك سوف تجذبين الأبصار إليك!!

فإن هذه حيلة شيطانية تسعى لنزع حجابك بأي حال من الأحوال.

◉ **يا بنيتي،** دينك يدعوك إلى التميّز، فلعل الله أن يهدي بك وبحجابك قلوبًا غافلة جاهلة.. وتذكري أن الحجاب عبادة وليس بعادة، أمرنا الله بالتعبد به ولا يجوز لأحد الاجتهاد في حكمه بعد حكم الله فيه.. كما أنه لا يمكن الاجتهاد في حكم الصلاة في بلاد الكفار بعد أن حكم الله فيها.. فهل ستستجيبين لمن يقول لكِ اتركي الصلاة في بلاد الكفر لأنك تجذبين الأبصار إليك؟ لا أظنك ستستجيبين لهذه الدعوى الباطلة والتي لا يقرها دينك.. كذلك الحجاب عبادة مثل الصلاة فكيف حُقَّ لكِ أن تجتهدي فيه وتغيري من حكم الله فيه وأنتِ تقرئين قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ

ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

❁ **بنيتي،** يا من نطق فمك ب- (لا إله إلا الله) وأيقن قلبكِ بها، وعملَت جوارحك بمقتضاها.. أكملي دينك بحجابك ولا تنظري لحثالة البشر وأتباعهم، فما يملون عليكِ إلا ذنوبًا وعارًا تتلطخين بها في دنياكِ وأخراكِ!

فتذكري أن باب التوبة مفتوح ما لم يحضركِ الموت، وتيقني أن الله لن يردكِ خائبة وقد قال: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين..

والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عرفات / **محمد بن نبيه علي ضيف الله**

الواعظ بالأزهر الشريف

*　*　*

❁ المقة في تهيئة النفس وكسب الثقة ❁

لأبي عرفات / محمد بن نبيه علي ضيف الله

الواعظ بالأزهر الشريف

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، قيوم السموات والأرضين، مُدبِّر الخلائق أجمعين، باعث الرسل- صلواته وسلامه عليهم- إلى المكلَّفين؛ لهدايتهم وبيان شرائع الدِّين، بالدلائل القطعية وواضحات البراهين. أحمده على جميع نعمه، وأسأله المزيدَ من فضله وكَرَمه. وأشهد أن لا إله إلا اللّه الواحد القهَّار، الكريمُ الغفَّار.

وأشهد أنّ سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله، أفضل المخلوقين المكرَّم بالقرآن العزيز، المعجزة المستمرة على تعاقب السنين، وبالسنن المستنيرة

للمسترشدين، المخصوص بجوامع الكلم وسماحة الدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين، وآل كل وسائر الصالحين.

أما بعد: فقد يسَّر اللّه بفضله وكرمه، أن اجتمعت بأئمة المساجد وخطبائها في عدد من المحافظات بعد تواضع منهم بطلب محاضرات في تهيئة الأئمة والخطباء وهذا إبان ما حدث في الخامس والعشرين من يناير

فجمعتها تحت عنوان / المقة (المحبة) في تهيئة النفس وكسب الثقة) فقلت مستعينا بالله تعالى:

النفوس البشرية أشبه بالمعادن الصلبة. كلاهما يصعب كسره أو ثنيه أو تشكيله إلا في أفران خاصة عالية الحرارة. تلك الأفران التي يمكن فيها تشكيل النفوس البشرية هي أفران التهيئة النفسية.

وتهيئة النفس مرحلة متقدمه علي فعل الفعل. وهي مرحلة هامة. يقصد منها دفع الأفراد ذاتيا إلى تحقيق أعلى معدلات الإنجاز لأي فعل يقدم عليه الإنسان. فأي فعل

يقدم الإنسان على فعله -كبر أم صغر - يحتاج إلى حسن تهيئه وجودة إعداد. فبدون هذه التهيئة لا تتوقع غير معدلات الإنجاز المتدنية. لأن حسن التهيئة يصهر البلادة، ويذيب الغفلة، ويذيل الفتور الذي قد يعتري النفس البشرية من حين لحين. كما تساهم مرحله التهيئة النفسية في تطويع النفس وترويضها ودفعها لانجاز الأفعال التي قد تستثقلها ولا تستسيغها. والأكثر من ذلك إن مرحلة التهيئة النفسية تستنهض همم الأفراد وتجعلهم يخرجون الطاقات المخبوءة داخلهم. وقد يصعب على أي قوة استخراج مثل هذه الطاقات غير قوة التهيئة النفسية.

ولك أن تتخيل حجم التأثيرات الهائلة التي تحدثها التهيئة النفسية الحقة في طاقة الجسم الكهروحيوية. فهناك إجماع من المختصين علي إن طاقة الجسم الكهروحيوية تتغير بشكل ملحوظ مع تغير حالة الشخص النفسية والمزاجية. والتهيئة النفسية هي القوة الوحيدة القادرة على تحقيق كل هذه النتائج المبهرة.لكن من أجل الحصول

على مثل هذه النتائج المبهرة يجب أن تكون التهيئة مبهرة أيضا. «وإذا ما حدث هذا التغيير فإننا يمكننا فعل أشياء تبدو غير ممكنه» كما يقول روبينز.

وهذا ما حدث يوم بدر. قبل التحام الجيشين. لما خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فهيأهم وحرضهم. أعطي للتهيئة وقتها الكافي. فهو اعلم الناس بحرج موقف جيش قوامه ثلث عدد جيش العدو. رفع معنويات الجنود. وغير حالتهم النفسية والمزاجية. وانعكس ذلك علي حالاتهم الفسيولوجية. هيأ ﷺ نفوس الجند لما هي مقبلة عليه. وصاح فيهم قائلا: والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا، مقبلا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة. فأقبل الجند. وأدبر الخوف من قلوبهم. وكان الانجاز. الانجاز الذي وصل معدله إلي ٣٠٠٪ تقريبا. إذ استطاع ٣١٤ مقاتل أن يصمدوا في وجه. ١٠٠٠ بل ويلحقوا بهم الهزيمة المذلة.

لذلك فليس من الحكمة أن نقدم على التنفيذ قبل

استفراغ الوسع في التحفيز. وليس من الحكمة أن نطلب قبل أن نُرَغب. ولا أن نأمر قبل أن نهيئ. ولا أن يعمل من هم تحت إمرتنا قبل أن تهضم نفوسهم وعقولهم ما هم مقدمون عليه بحسن التهيئة، وبقوة الترغيب وببراعة التحفيز. القول الفصل هنا أن مرحلة التهيئة لابد وأن تسبق مرحلة العمل. عندها توقع الإقبال على تنفيذ الأمور بأفضل المعايير: الرئيس مع مرؤوسيه، والداعي مع مدعويه، والقائد مع جنده.، والمدير مع موظفيه، والمعلم مع طلابه، والأب مع زوجته وأولاده. الكل مطالب بإتقان هذا الفن وفي الأمور كلها.

وليس هناك مستوى معين من البشر يقف عند عتباتهم فن التهيئة. فالكل يحتاج إليه وإن تفاوتت النسب والدرجات. فأنبياء الله ورسله وهم أشرف الخلق وأكملهم هيأهم رب العالمين وأحسن تهيئتهم هيأهم.للعديد من المشاق والصعاب التي ستواجههم في طريقهم أثناء الدعوة إلى الله.هيأهم بمختلف الطرق الوسائل التي تناسب حال

وزمان ومكان كل منهم.وإذا كان هذا المستوى من البشر قد احتاج إلي كل هذه التهيئة فمن باب أولى فكل من هو دونهم صلوات الله وسلامه عليهم أولى ويستحق هذا الأمر. فأمر التهيئة لازم لكل من له نفس وعقل مهما علا شانه أو سمت مكانته في دنيا الناس.

حتى أولئك الين يتعاملون مع الحيوانات والدواب. فلا يعقل أن ينتظر فارس مغوار من فرسه أن يقفز الحواجز العالية وهو يتبختر أو يسير الهوينى. فان لم يحفزه من بعيد وقبل مواجهة الحواجز. إن لم يهيئه ويثير حماسته ويوثق لجامه بقوة.إن لم يرفع همته بصيحاته وحركات أقدامه. فقد يردي الفرس الفارس وقد يهلكا سويا.

وأكبر مشكلة تواجه الإنسان مدرسًا كان أو محاضرًا أو خطيبًا مبتدئًا هو عدم الثقة بالنفس والتردد والخجل والحرج والخوف والرهبة أمام المستمعين، لذا فإنه يمكننا أن نوصي بما يلي:

١- استعن بالله تعالى، واخلص عملك له، واسأله

التوفيق والتيسير

٢- تبرأ من حولك وقوتك، والجأ إلى حول الله وقوته، وتوكل عليه وحده

٣- حضر تحضيرًا جيدًا، واقرأ كثيرًا كل ما يخص موضوع البرنامج واجعل في حسبانك أن المسجد مليئ بالعلماء وإذا حدثت أو حاضرت أو خطبت فاعتبر من أمامك أعواد كبريت ليس إلا وتخيل أن الحضور لا يفهمون شيئًا، أو افترض عدم معرفتهم تمامًا بالموضوع أو ضآلة معلوماتهم في هذا الشأن.

٤- تناول الموضوعات السهلة والبسيطة والتي لا تثير جدلًا ولا اعتراضًا.

٥- رتب الموضوع ترتيبًا منطقيًا ومتسلسلًا ليسهل تذكره.

٦- تفهم فكرتك جيدًا قبل أن تتحدث بها.

٧- احفظ ما تريد قوله جيدًا، واحرص على تكراره كثيرًا.

٨- قم بعمل بروفة في البيت أو في أي مكان لا يراك فيه الناس وإن استطعت أن تسجل البروفة فافعل ثم اسمع لما

سجلت وانتقد نفسك في مواطن الضعف والفتور. ثم تعرف على أخطائك وحاول تلافيها ثم تدرج في التدريب والإلقاء والخطابة، وابدأ في منتديات صغيرة ومع فئات قليلة ذات المستويات المحدودة.

٩- إن استطعت أن لا تبدأ التدريب والإلقاء والخطابة أمام أناس تربطك وإياهم صلات وثيقة فافعل

• إذا لم تستطع النظر إلى عيون المشاركين فانظر أعلى قليلًا من مستوى رؤوسهم أو انظر إلى جباههم ووزع النظر أثناء الحديث واعلم أن توزيع النظر يشحذ انتباه المستمعين، لذا ننصح بإمعان النظر فيمن تشعر بأنه قد شرد ذهنه قليلًا، فمن شأن ذلك أن يعيده إلى تركيزه عليك.

١٠- احرص على إعداد مقدمة مركزة وقوية وتحاشا التطويل واحفظها حفظًا جيدًا

١١- كن طبيعيًا، وأحذر التكليف والتنطع.

١٢- لا تستخدم إلا كلماتك وعباراتك، ولا تقلد كثيرًا واحرص أن تكون شخصيتك مستقلة:

إن على الداعية ألا يتقمص شخصية غيره، وألا يذوب ذوبانًا في بعض الشخصيات، فتجد بعض الدعاة إذا أحب داعية آخر، أو عالمًا آخر قلده في كل شيء حتى في صوته! وحتى في مشيته! وحتى في حركاته! فذاب في شخصية ذاك!

ويُروى عن الرسول ﷺ قوله: «لا يكن أحدكم إمعة، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت» أخرجه الترمذي ٢٠٠٧ من حديث حذيفه وإسناده ضعيف.

ولكن إن أحسن الناس فأحسن وإن أساءوا فاجتنب إساءتهم، فذوبان الشخصية ليس مطلوبًا للداعية.

فإن عليك أن تستقل بشخصيتك، وتعلم أن الله خلقك نسيجًا وحدك، وأن الأرض ما تستطيع - بإذن الله عز وجل - أن تخرج واحدًا مثلك، فأنت من بين الملايين التي خلقها الله منذ آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وحدك، صوتك لا يشابهك فيه أحد، وملامح جسمك واستعدادك، وما عندك من مواهب، كل هذه تختلف فيها عن غيرك، وقد كانت العرب تكره أن يتقمص الإنسان

شخصية غيره.

قالوا عن الطاووس: إنه أراد أن يقلد الغراب في مشيته فنسي مشيته، وما ستطاع أن يقلد مشيت الغراب!!

وهذا ينطبق على القراء.. فإن القارئ يريد أن يقلد قارئً آخر فيتعب فلا أحسن صوت ذاك ولا أسمع صوته المعهود الذي منحه الله - عز وجل - إلا إذا كان يستطيع أن ينطق مثل صوت ذاك بدون كلفه، وصوته جميل مثل صوت ذاك، فلا بأس إنشاء الله.

فينبغي أن تكون للداعية شخصيته المستقلة، وقد مدح النبي ﷺ أصحابه، كلاً على حسب شخصيته، فأثنى على قوة عمر فقال: **«مثلك يا عمر كمثل نوح وكمثل موسى»** وأثنى على أبي بكر في رقته، فقال: **«ومثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم وكمثل عيسى عليهم السلام»**. فالقوي يبقى على قوته لكن فيما ينصر به الدين.

فالإسلام بحاجة إلى من هو قوي في رأيه وإرادته، وفي حاجة لمن هو رقيق رحيم، فإن هذا له باب، وهذا لهُ باب، كما

نحتاج إلى طاقات الناس قد سلف معنا كثيرًا أن الرسول ﷺ نوع اختصاصات الناس وجعلهم على جبهات بسبب مواهبهم، فسيد القراء أبي بن كعب. وحسان شاعر النبي ﷺ، وزيد بن ثابت أفرض الناس، وأبو بكر له مهمة الإدارة، وعمر لهُ مهمة القوة والصرامة والحزم، وقس على ذلك.

١٣- حسّن مظهرك، وطيّب نفسك، ورتّب هندامك. فبعض الناس يرى أن على الداعية أن يلبس لباس الفقراء! أو يلبس لباسًا من أوضع اللباس! وهذا ليس بصحيح، فإن الله -عز وجل- قد أحل الطيبات، ورسول الله ﷺ دعا إلى التجمل بقوله: «تجملوا كأنكم شامة في عيون الناس».

وقال: «إن الله جميل يحب الجمال» أخرجه أبو داود ٤٠٨٩

وقد يكون من المطلوب أن يكون الداعية متجملًا، متطيبًا، ويكون مجلسه وسيعًا، يستقبل فيه الأخيار البررة، وأن يكون له مركب طيب، فإن هذا لا يعارض سنة الله - عز وجل - ولا سنة رسوله ﷺ، بل عليه كذلك أن يكون له

في كل حالة بما يُناسبها.

إن الرسول ﷺ يعتني بذلك، في صلاة الاستسقاء خرج في لباس متبذل قديم يظهر الخشية والخشوع والفقر أمام الله - عز وجل - ولكنه في الأعياد لبس بُردة تساوي ألف دينار، خرج بها أمام الناس، أهديت له قيمتها مائة ناقة!

* فيجب أن يلبس لكل حالة لبوسًا، إما نعيمها، وإما بؤسها.. فإنه من الإجحاف أن يُطالب الدعاة أن يعيشوا في بيوت طين في هذا العصر الذي ما تبنى فيه البيوت إلا الفلل!! وإنه لمن الإجحاف كذلك أن نُطالب الدعاة أن يجلسوا على الخصف، ويجلس الناس على الكنب الوثير! أو أن نُطالب الداعية أن يلبس لباسًا ممزقًا قديمًا! أو يكتفي بثوب واحد طوال السنة! مع العلم أن الله واسع عليم، وأن الله يحب أثر نعمته على عبده

* ولكن على الداعية ألا يتشاغل بالدنيا تشاغلًا يعميه عن طريقه، فإنه من الحسرة أن تجد كثيرًا من الدعاة، أو بعض المشايخ، أو بعض طلبة العلم غارقًا في الدنيا إلى

أذنيه، له من المؤسسات وله من الشركات، وله من الدور، ما يشغله عن الدعوة!

لا نعارض أن يكون لطلبة العلم تجارة، وأن يكون لهم مشاريع في الارض، وأن يكون لهم دخل، فهذا مطلوب، كما فعل عثمان وابن عوف، وغيرهم من الصحابة، لكن أن يستغرق طالب العلم والداعية وقتًا في هذه الأمور.. فتجده دائمًا في مكاتب العقارات في البيع والشراء، في السندات، مع الشيكات، ويترك الأمة للمهلكات! هذا ليس بصحيح، وهذا مخجل، فإن الله – عز وجل – استخدمك في أحسن طاعة.

* وكذلك يجب على الداعية أن يهتم بمظهره الشخصي، وأن تكون حليته إيمانية، وأن يظهر عليه

الوقار والسكينة، وأن يلبس لباس أهل الخير، وأهل العلم، فإن لكل قوم لباسًا، ويمشي مشية أهل العلم، ويكون مظهره جميلًا، ويعتني بخصال الفطرة، كالسواك وتقليم الأظافر، وأن يكون متطيبًا، محافظًا على الغسل،

يحافظ على مظهره.. حتى يمثل الدعوة تمثيلًا طيبًا أمام الناس.

١٤- عود نفسك على المجازفة، وأقنعها أن المراتب العالية لا تتأتي إلا بالمجازفة والإقدام والهمة العالية وخوض الصعاب قال الشاعر: ومن يتهيب صعود الجبال يعش دائما بين الحفر.

١٥- لا تقطب الوجه وكن مبتسما بشوشا قال رسول الله ﷺ: **«أنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»** رواه مسلم

* وقال ﷺ: **«لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»** رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان

* وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: (ما حجبني النبي ﷺ، ولا رآني إلا تبسم في وجهي) رواه البخاري

*فالابتسامة لها رونق وجمال، وتعابير تضفي على وجه صاحبها الراحة والسرور، بل رتب النبي ﷺ أجر عليها وقال ﷺ: **«تبسمك في وجه أخيك صدقة»** وقال ﷺ: **«أنكم لن تسعوا**

الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» والإمام البخاري جمع أحاديث كثيرة للرسول ﷺ وبوب لها باب: (باب التبسم والضحك) دليل على الابتسامة التي كان يحرص عليها الرسول ﷺ، والإمام مسلم كذلك في صحيحه أحاديث بوب لها الإمام النووي فقال في كتاب الفضائل.. (باب تبسمه وحسن عشرته) وبوب الشيخ الغماري الاحاديث التي فيها (ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه) في مؤلف سماه (شوارق الانوار المنيفة بظهور النواجذ الشريفة)، كل هذا وغيره بيان لجوانب تبسمه ﷺ. وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم فقد قيل لعمر رضي الله عنه هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون. قال: نعم والإيمان والله اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي لا يكفي المال وحدة لتأليف القلوب ولا تكفي التنظيمات الاقتصادية والأوضاع المادية، لابد أن يشملها ويغلفها ذلك الروح الشفيف، المستمد من روح الله، ألا وهو الحب، الحب الذي يطلق البسمة من القلوب فينشرح لها الصدر وتنفرج القسمات فيلقي الإنسان أخاه بوجه طليق)

يقول الشاعر:

هشّت لك الدنيا فمالك واجمًا

وتبسمت فعلام لا تتبسم

يقول ابن القيم في أهمية البشاشة: (إن الناس ينفرون من الكثيف ولو بلغ في الدين ما بلغ، ولله ما يجلب اللطف والظرف من القلوب فليس الثقلاء بخواص الأولياء، وما ثقل أحد على قلوب الصادقين المخلصين إلا من آفة هناك، وإلا فهذه الطريق تكسو العبد حلاوة ولطافة وظرفا، فترى الصادق فيها من أحبى الناس وألطفهم وقد زالت عنه ثقالة النفس وكدورة الطبع)

ويقول الإمام ابن عيينه: (والبشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين: وجه طليق وكلام لين)

إن كنت مكتئبًا لعزُ قد مضى

هيهات يرجعه إليك تندم

*موانع الابتسامة: لنقف أخي الكريم على أهم أسباب موانع الابتسامة عند البعض..

١- الظن أن ذلك من الجدية: يظن البعض أن عدم الابتسام هو جزء من الجدية التي لابد منها في شخصية الإنسان وهي من كمال الدين، وهذا ظن ليس في محله حيث إن الناس جُبلوا على الميل والمحبة لمن يبش في وجوههم، وأما ما يتعلق بالجدية فإنه لا يوجد أكثر من جدية الرسول ﷺ وعن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: «نعم كثيرًا، **كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية، فيضحكون، ويبتسم**» رواه مسلم. ولم يكن هذا التبسم لينقص من مكانته ﷺ وإنما هو اللطف الذي ما خالط شيئًا إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه.

٢- الخوف من قسوة القلب: يخلط بعض الناس بين الإكثار من الضحك والذي أخبر به الرسول ﷺ أنه سبيل لموت القلب وبين أهمية وضرورة الابتسام والضحك المعتدل لتقويم النفس وإزالة الهم وكسب الآخرين..

وعلينا الانتباه جيدًا إلى شاطحات الزهاد فإنها كثيرة كقولهم: (ما ضحك فلان قط) أو (ما رأي فلان إلا مهمومًا) فهذا خلاف الفطرة والسنة النبوية. وما جاء في نص الحديث الذي رواه ابن ماجه بإسناد صحيح (لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب) فلم ينه عن الضحك إنما نهى عن كثرته.

٣- ظروف النشأة: لها دور كبير في حياة الإنسان، فمن يولد بين أبوين غضوبين تقل الابتسامة على محياة، فلا تراه مبتسمًا أبدًا، وهذا تبعًا للظروف البيئية التي تحيطة.

٤- طبيعة الإنسان العصبية، وكثرة سوء الظن عنده، وتعامل الصعب كلها عوامل تدفع الإنسان إلى قلة التبسم.

١٦- وضح هدفك من الحديث حتى لا ينصرف الناس عنك بطريقة أو بأخرى. وستكون مهمة المنصت مستحيلة، إذا كان المتحدث نفسه لا يعرف عن ماذا يتحدث. عدم وضوح الهدف ربما يولد فهمًا مغلوطًا لدى المستمع.

١٧- إذا احتجت لضرب مثال فاجعل مثال الخير للناس واجعل مثال السوء لنفسك وكذا في الإشارة.

١٨- استخدم يدك بإقتصاد واحذر الإشارة الخاطئة ولك مثال من فعل الرسول ﷺ. حيث كان يستخدم يديه لشد انتباه المستمعين، على سبيل المثال قوله: يقول الله تبارك وتعالى «من تواضع لي هكذا» وظل النبي ﷺ يشير بباطن كفه إلى الأرض ويهوي به إلى الأرض (يقولون فظل يخفض يده حتى أدناها إلى الأرض)، «رفعته هكذا»، وقلب ظاهر كفه إلى السماء حتى جعله في السماء. رواه أحمد. إن استخدام الأيدي بمهارة هو أحد أسباب شد انتباه المستمعين.

١٩- صارح من تحدث ولا تزين لهم. ولا تتكلّف لهم. واستر عيبهم عن أن تفضحهم

لكن لا تستر عيبهم عن أن تنصحهم. وصارحهم بأخطائهم. مصارحة الحريص المشفق..

من غير تشهير أو تحقير أو إذلال ولكن بمثل قول

النبي ﷺ: «ما بال أقوام». وقوله ﷺ: «ونعم العبد عبد الله لو كان يقوم من الليل»

٢٠- وكما صارحتهم بعيبهم: صارحهم بحبك. لقول الحبيب الشفيع ﷺ: «إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله، فليخبره بأنه يحبه لله عز وجل».

٢١- عدم اليأس من رحمة الله: يجب على الداعية ألاّ يغضب إن طَرح عليه شاب مشكلته، وأنه وقع في معصية، فقد أُتِيَ الرسول ﷺ برجل شرب الخمر وهو من الصحابة أكثر من خمسين مرة!!

ثبت في الصحيح، فلما أتى به ليقام عليه الحدّ، قال بعض الصحابة: أخزاه الله، ما أكثر ما يؤتى به! فغضب عليه ﷺ، وقال للرجل: «لا تقل ذلك لا تعن الشيطان عليه، والذي نفسي بيده، ما علمتُ إلا أنه يحبّ الله ورسوله» أخرجه البخاري (١٢/ ٧٥ رقم: ٦٧٨١/ ٦٧٨٠)

فما أحسن الحكمة، وما أعظم التوجيه!!

لذلك نقول دائمًا: لا تيأس من الناس مهما بدرت منهم

المعاصي والمخالفات والأخطاء، واعتبر أنهم أمل هذه الأمة، وأنهم في يوم من الأيام سوف تفتح لهم أبواب التوبة، وسوف تراهم صادقين مخلصين، تائبين متوضئين.

• وينبغي على الداعية أن لا ييأس من استجابة الناس، بل عليه أن يصبر ويثابر، ويسأل الله لهم الهداية في السجود، ولا يستعجل عليهم، فإن رسولنا ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدو إلى «لا إله إلا الله»، فلم ييأس مع كثرة الإيذاء!! ومع كثرة السب!! ومع كثرة الشتم!! واعلم أن ما تتعرض له من صعوبات لا يقارن بما تعرض له النبي ﷺ، ومع ذلك صبر وتحمل كل ذلك ولم يغضب، حتى أتاه ملك الجبال! فقال له: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا» أخرجه البخاري (٦/ ٣١٢-٣١٣ رقم ٣٢٣١) ومسلم (٣/ ١٤٢٠ رقم ١٧٩٥)

فأخرج الله من أصلاب الكفرة القادة، فمن صُلب الوليد بن المغيرة: خالد بن الوليد، ومن صُلب أبي جهل: عكرمة بن أبي جهل.

فمَا أحسن الطريقة، وما أحسن ألا ييأس الداعية، وأن يعلم أن العاصي قد يتحول بعد عصيانه إلى إمام مسجد! أو خطيب! أو إلى عالم!

• من الذي ما أساء قط! ومن له الحسنى فقط؟!

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلًا أن تعدّ معايبه!
تريد مهذّبًا لا عيب فيه
وهل عود يفوح بلا دُخان؟!

هذا لا يصلح على منهج الكتاب والسنة.

فلا تقنط من رحمة الله فإن رحمة الله وسعت كل شيء، وهو الرحمن الرحيم، الذي يقول في الحديث القدسي الذي رواه أحمد والترمذي بسند صحيح «يا ابن

آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أُبالي، يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بها مغفرة» أخرجه الترمذي (٣٥٤٠).

وعلى الداعية ألا ييأس من المدعوين بسبب بعض معاصيهم وإنما عليه أن يعايش الجميع، الكبير والصغير، الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، ولتعلم أن هذا العاصي قد يكون في يوم من الأيام من رجال الدعوة، وقد يكون من أولياء الله، فلا تيأس، وعليك أن تتدرّج معه، وأن تأخذ بيده رويدًا رويدًا، وألا تجابهه وألا تقاطعه.

• جاء وفد ثقيف إلى الرسول ﷺ فدعاهم إلى الدين قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ولكن أما الصلاة فلا نصلي! وأما الزكاة فلا نزكي! ولا نُجاهد في سبيل الله!!

فقال النبي ﷺ: «أما الصلاة، فلا خير في دين لا صلاة فيه».

وأما الصدقة والجهاد فقد فقال ﷺ بعد ذلك: «سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا» رواه أبو داود.

فأسلموا، فأدخل الله الإيمان في قلوبهم، فصلوا وزكوا وجاهدوا، وقتل بعضهم وراء نهر سيحون وجيحون في سبيل الله! وقُتل بعضهم في قندهار.

فلا ييأس الإنسان من دعوة الناس إلى سبيل الله سبحانه وتعالى، وليعلم أنهم في مرحلة المراحل سوف يهتدون وسوف يعودون إلى الله سبحانه وتعالى.

فلا تقنط شارب الخمر من توبته إلى الله، ولا تُقنط السارق ولا الزاني، ولا القاتل، بل حببهم إلى الهداية، وقل لهم هناك ربٌّ رحيم، يقول في محكم التنزيل: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

قال علي رضي الله عنه وأرضاه: (الحكيم من لا يُقنط الناس من رحمة الله، ولا يورطهم في معصية الله).

٢٣- ألا يهون على الناس المعاصي، بل يخوفهم من الواحد الأحد، فيكون في دعوته وسطًا بين الخوف والرجاء، فإن بعض الدعاة قد يتساهل مع بعض الناس في المعاصي! كلما أرتكب كبيرة قال: «سهلة»! وكلما أُتي بأخطاء قال: «أمرها بسيط»!

أفلا يعلم أن هناك ربًّا يغضب إذا انتهكت حدوده؟! وأن هناك سلطانًا عظيمًا على العرش استوى، لا يرضى أن تُنتهك محارمه، وقد صح في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ: «تعجبون من غيرة سعد؟ والذي نفسي بيده، إني أغير من سعد، وإن الله أغير منّي» أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٩ رقم ٧٤١٦) ومسلم (٢ / ١١٣٦ رقم ١٤٩٩) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

وقد ورد من صفاته _ سبحانه وتعالى _ كما في الصحيح من حديث ابن مسعود: «إن الله غيور، ومن غيرته سبحانه وتعالى أنه يغار على عبده المؤمن أن يزني، وعلى أمتِه المؤمنة أن تزني».

٢٤- عدم الهجوم على الأشخاص بأسمائهم:

من مواصفات الداعية ألا يُهاجم الأشخاص ب؟أسمائهم، فلا ينبذهم على المنابر بأسمائهم أمام الناس، بل يفعل كما فعل الرسول ﷺ ويقول: **«ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»**.

فيعرف صاحب الخطأ خطاه ولكن لا يُشهر به.

أما إن كان هناك رجل جاهر الله بكتاباته أو بانحرافاته أو بأدبه أو ببدعته، أو بدعوته إلى المجون، فهذا لا بأس أن يُشهر به عند أهل العلم، حتى يبين خطره، فقد شهر أهل العلم بالجهم بن صفوان، وقال ابن المبارك في الجهم: هذا المجرم الذي قاد الأمة إلى الهاوية، وابتدع في الدين قال: عجبت لدّجال دعا الناس إلى النار. واشتق أسمه من جهنم، وشهّروا كذلك بالجعد بن درهم، وكتبوا أسماءهم في كتب الحديث، وحذروا الناس منهم في المجالس العامة والخاصة، فمثل هؤلاء يُشهر بهم، أما الذين يُتكتم على أسماءهم فهم أُناس أرادوا الخير فأخطأوا، وأُناس زلت بهم أقدامهم، وأُناس

أساءوا في مرحلة من المراحل، فهؤلاء لا تُحاول أن تُظهر أسماءهم في قائمة سوداء فقد يغريهم هذا إلى التمادي في الخطأ وقد تأخذهم العزة بالإثم!

٢٥- الداعية لا يزكي نفسه عند الناس:

على الداعية ألا يُزكي نفسه عند الناس، بل يعرف أنه مقصر مهما فعل، ويحمد ربه سبحانه وتعالى أن جعله متحدثًا إلى الناس، مبلغًا عن رسوله ﷺ، فيشكر الله على هذه النعمة، فإن الله قال لرسوله ﷺ: «وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا» وقال له في آخر المطاف بعد أن أدى الرسالة كاملة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر: ١-٣] قال أهل العلم: أمره أن يستغفر الله فلا يأتي الداعية فيزكي نفسه، ويقول: أنا آمركم دائمًا وتعصونني! وأنهاكم ولا تمتثلوا نهيي! وأنا دائمًا ألاحظ عليكم.. وأنا دائمًا أرى، وأنا دائمًا أقول، أو أنا دائمًا أُحدث نفسي إلى

متى تعصي هذه الأمة ربها؟!

• فيخرج نفسه من اللوم والعقاب، وكأنه بريء!! فهذا خطأ. بل بل يجعل الذنب واحدًا والتقصير واحدًا، فيقول لهم: وقعنا كلنا في هذه المسألة، وأخطأنا كلنا، فما نحن إلا أسرة واحدة، فربما يكون من الجالسين من هو أزكى من الداعية، ومن هو أحب إلى الله، وأقرب إليه منه.

٢٦- عدم الإحباط من كثرة الفساد والمفسدين: فينبغي ألا يصاب الداعية بالإحباط، وألا يصاب بخيبة أمل، وهو يرى الألوف المألفة تتجه إلى اللهو، وإلى اللغو، والقلة القليلة تتجه إلى الدروس والمحاضرات، فهذه سنة الله في خلقه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٢].

فإن الله ذكر في محكم تنزيله أن أهل المعصية أكثر، وأن الضلال أكثر وأن المفسدين في الأرض أكثر، فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].. وقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ

بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣]. وقال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس: ٩٩].. وقال: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية: ٢٢].. ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٦].. ﴿إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الشورى: ٥٤].. فنحن لا نملك سوطًا ولا عصى، ولا عذابًا ولا حسابًا، إنما نملك حبّا ودعوة وبسمة ونقود الناس بها إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فإن أجابوا حمدنا الله، وإن لم يستجيبوا ورفضوا أوكلنا أمرهم لله الذي يحاسبهم – سبحانه وتعالى.

قال بعض العلماء: (الكفار في الأرض أكثر من المسلمين، وأهل البدعة أكثر من أهل ألسنه، والمخلصون من أهل ألسنه أقل من غير المخلصين)!

• وعلى الداعية أن يكون واقعيا يعيش واقع الناس ويقرأ حياتهم ويتعرف على أخبارهم، ولذا يقول الله سبحانه وتعالى – لرسوله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٥]..

ومن حكمة الله - سبحانه وتعالى - أنه أحيا رسوله أربعين سنة في مكة، عاش في شعاب مكة، وفي أودية مكة، عرف مساربها ومداخلها، عرف الأطروحات التي وقعت في مكة، وعرف بيوت أهل مكة، واعترض الكفار. وقالوا: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ [الأنعام: ٨].. فالله - سبحانه وتعالى - ذكر أنه لا بد أن يكون بشرًا، يعيش آمال الناس، ويعيش هموم الناس و مشاكلهم، ويعرف احتياجاتهم.

• فحق على الداعية أن يقرأ واقعة، ويستفيد من مجتمعه، وأن يعرف ماذا يدور في البلد؟ وماذا يقال؟ وما هي القضايا المطروحة؟ ويتعرف حتى على الباعة، وعلى أصناف التجار، وعلى الفلاحين، وعلى طبقات الناس، وأن يلوح بطرفه في الأماكن، وفي مجامع الناس، وفي الأسواق

وفي المحلات، وفي الجامعات، وفي الأندية، حتى يكون صاحب خلفية قوية، ويتكلم عن واقع يعرفه.

لذا جعل أهل العلم من لوازم الداعية إذا أتى إلى بلد أن يقرأ تاريخ هذا البلد، وكان بعض العلماء إذا سافروا إلى

الخارج يأخذون مذكرات عن البلد، وعن تاريخه، وعن جغرافيته، وعن متنزهاته، ويتعرفون على طبيعة أهله، وكيف يعيشون وماذا يحبون، وماذا يكرهون؟! ويتعرفون على كيفية التربية في هذا البلد.. حتى يتكلمون عن بصيرة.

٢٧-تجنب المزايدة على كتاب الله: فإن بعض الوعّاظ والدعاة يحملهم الإشفاق والغيرة على الدين على أن يزيدوا عليه ما ليس فيه، فتجدهم إذا تكلموا عن معصية جعلوا عقابها أكثر مما جعله الله -عز وجل- حتى إن من يريد أن ينهى عن الدخان وعن شربه يقول مثلًا: (يا عباد الله، إن من شرب الدخان حرَّم الله عليه دخول الجنة، وكان جزاؤه جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا)!!

هذا خطأ، لأن هناك موازين في الشريعة.. هناك شرك يخرج من الملة. وهناك كبائر، وهناك صغائر، وهناك مباحات. قد جعل الله لكل شيء قدرًا.

فوضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندى

فعلى الداعي ألاّ يهول على الناس في جانب العقاب، كما عليه ألا يهول عليهم في جانب الحسنات كأن يستشهد بالحديث - وهو ضعيف - الذي يقول: **«صلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك»** انظر الفوائد المجموعه في الأحاديث الموضوعه للشوكاني رقم ٢٢.. وحديث - وهو باطل -: **«من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله بني له سبعين قصرًا في الجنة، في كل قصر سبعون حورية، على كل حورية سبعون وصيفًا، ويبقى في سبعين من صلاة العصر إلى صلاة المغرب...»**!

فالتهويل ليس بصحيح، بل يكون الإنسان متزنًا في عباراته، ويعرف أنه يوقع عن رب العالمين، وينقل عن معلم الخير ﷺ.

٢٨- **تجنب الاستدلال بالأحاديث الموضوعة:** على الداعية ألاّ يستدل بحديث موضوع إلا على سبيل البيان، ويعلم أن السنة ممحصة ومنقاة، وأنها معروضة، ولذلك لما أوتي بالمصلوب - هذا المجرم الذي وضع أربعة آلاف حديث على محمد ﷺ كذبًا وزورًا - إلى هارون الرشيد ليقتله، فسلَّ هارون

الرشيد عليه السيف، قال هذا المجرم: اقتلني أو لا تقتلني، والله لقد وضعت على أمة محمد أربعة آلاف حديث!!

فقال هارون الرشيد: «ما عليك يا عدو الله، يتصدى لها الجهابذة يزيّفونها، ويخرجونها كابن المبارك، وأبي إسحاق المروزي». فما مرَّ ثلاثة أيام إلا نقاها عبدالله بن المبارك وأخرجها، وبين أنها موضوعه جميعها.

فالأحاديث الموضوعة – ولله الحمد – مبيَّنه، ونحذر الدعاة من أن يذكروا للناس حديثًا موضوعاُ، ولو قالوا إنه في مصلحة الدعوة إلى الله، فالمصلحة كل المصلحة فيما ورد عن رسول الله ﷺ صحيحًا، لا في الأحاديث الباطلة كحديث علقمة وما واجه مع أمه، وحديث ثعلبة والزكاة، وكأحاديث أُخر بواطل، وأثرها على الأمة سقيم، لكن يجوز للداعية أن يبين للناس في محاضرة أو درس أو خطبة الأحاديث الموضوعة حتى يتعرف الناس عليها.

أما الأحاديث الضعيفة فلها شروط ثلاثة للاستدلال بها:

* الشرط الأول: ألا يكون ضعيفًا شديد الضعف.

* الشرط الثاني: أن تكون القواعد الكلية في الشريعة تسانده وتؤيده.

* الشرط الثالث: ألا يكون في الأحكام بل يكون في فضائل الأعمال.

وقد ذكر شيخ الأسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن الإمام أحمد أنه قال: «إذا أتى الحلال والحرام تشددنا، وإذا أتت الفضائل تساهلنا» مجمع الفتاوى ١٨/ ٦٥... وهذا كلام جيد، ولو أنه غير مجمع عليه

٢٩- تجنب طغيان الكلام: يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: « وليحذر من طغيان كلمات: أنا، ولي، وعندي، فان هذه الألفاظ الثلاثة ابتلى بها إبليس وفرعون وقارون، وقال إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢].. وقال فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١].. وقال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] فاجتنب أنا، واجتنب لي، واجتنب عندي.. ولكن تصلح « أنا» في مثل: أنا مقصر، كما قال

شيخ الإسلام – رحمه الله -:

أنـــا الفقيــــر إلــــى ربّ البريـــات

أنـــا المـــسكين في مجمـــوع حـــالاتي

مدح أحد الناس ابن تيميه فقال:

أنـــا المكـــدي وابـــن المكـــدي

وهكـــذا كـــان أبـــي وجـــدي!

فقال: أنا مذنب وأبي مذنب! وجدي مذنب! إلى آدم عليه السلام.

• فواجب على الداعية أن يظهر دائمًا بالتواضع، وأن يلتمس الستر من إخوانه، وأن يبادلهم الشعور، وأن يطلب منهم المشورة والاقتراح، وأن يعلم أن فيهم من هو أعلم منه، وأفصح منه، وأصلح منه.

قال بعض السلف: «الساكت ينتظر الأجر من الله، والمتكلم ينتظر المقت، فإن المتكلم خطيء».

٣٠- أن يجعل الداعية لكل شيء قدرًا: لا ينبغي للداعية أن يعطي المسألة أكبر من حجمها، فالدّين

مؤسس، والدينّ مفروغ منه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فلا يعطى الداعية المسائل أكبر من حجمها، وكذلك لا يصغر المسائل الكبرى أو يهوّنها عند الناس.. ومن الأمثلة على ذلك:

• أن بعض الدعاة يعطي مسألة إعفاء اللحية أكبر من حجمها حتى كأنها التوحيد الذي يخلد به الناس أو يدخل الناس به الجنه، ويدخل الناس بحلقها النار ويخلدون فيها! مع العلم أنها من السنن الواجبات، ومن حلقها فقد ارتكب محرمًا، لكن لا تأخذ حجمًا أكبر من حجمها، وكذلك مسألة إسبال الثياب، والأكل باليسرى، وغيرها من المسائل. لا يتركها الداعيه أو يقول إنها قشور فيخطئ، ولا يعطيها أكبر من حجمها، فقد جعل الله لكل شئ قدرًا.

والحر ميزان، فعليه أن يفعل كما فعل النبي ﷺ، فقد تكلم عن التوحيد في جّل أحاديثه ومجالسه، وأعطى المسائل حجمها حتى لا يُصاب الناس بإحباط.

٣١- حسن التعامل مع الناس وحفظ قدرهم: فعلى الداعية أن يُثني على أهل الخير، ويشكر من قدم له معروفًا، فإن الداعية إذا أثنى على أهل الخير عرفوا أنه يعرف قدرهم، وأنه يعرف الجميل، أما أن تترك صاحب الجميل بلا شكر و المخطئ بلا إدانة وبلا تنبيه، فكأنك ما فعلت شيئًا!

لا بدّ أن تقول للمحسن أحسنت، وللمسيء أسأت، لكن بأدب، فكبار السن يحبون منك أن تحتفل بهم، وأن تعرف أن لهم حق سن الشيخوخة، وأنهم سبقوك في الطاعة، وأنهم أسلموا قبلك بسنوات، فتعرف لهم قدرهم.

• وكذلك العلماء والقضاة، وأعيان الناس وشيوخ القبائل.. ونحو ذلك من أهل العلم والفضل، وأهل المواهب كالشعراء الإسلاميين، والكتاب الإسلاميين، ومن لهم بلاء حسن، والتجار الذين ينفقون في سبيل الله.. فتُظهر لهم المنزلة وتشكرهم على ما قدّموا حتى تحيي في قلوبهم هذا الفعل الخيِّر/ كما كان النبي ﷺ يقول على المنبر: «**غفر الله لعثمان ما تقدم من ذنبه وما تأخر**» أخرجه

أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٤٥٦ رقم ٧٣٦ وإسناده ضعيف..، «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم» أخرجه الترمذي ٣٧٠١ وحسنه الألباني في التعليق على المشكاة ٣/ ١٧١٣.. وكان يقول: «دعوا لي أصحابي» أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٢٦٦ وصححه الألباني...يعني أبا بكر الصديق، وكان ﷺ يشكر عمر، ويخبر ما رأى عمر، وكان يثني على هذا، ويمدح هذا، ويشكر هذا، فإن هذه من أساليب التربية، وليست من التملك في شيء.

٣٢- أن يعلن الدعوة للمصلحة، ويسرَّ بها للمصلحة:

فعلى الداعية أن يعلن الدعوة للمصلحة، يعلن بها حيث يكون الإعلان طيبًا كالمحاضرة العامة، والموعظة العامة في قرية أو بلدة أو في مدينة، ولكنه إذا أتى ينصح شخصًا بعينه فعليه أن يسر الدعوة، فيأخذه على حدة، ويتلطف له في العبارة، وينصحه بينه وبينه، قال الشافعي – رحمه الله:

تعمدني بنصحك في انفرادِ

وجنبني النصيحة في الجماعه

فـــإن النـــصح بـــين النـــاس نـــوع
مـــن التـــوبيخ لا أرضـــى اســـتماعه
فـــإن خـــالفتني وعـــصيت قـــولي
فـــلا تجـــزع إذا لـــم تُعـــط طاعـــه

• فيقصد أنه إذا خالفتني ونصحت الإنسان أمام الناس فلا تجزع فسوف يجابهك هذا، وينتقم لنفسه، وقد تأخذه العزة بالإثم وكم شكى لي بعض الشباب - حفظهم الله - أن بعض الناس قد جابهم في مجتمع من الناس أو انتقدهم فأصابهم من تذمر وانقباض واشمئزاز! وهذا ليس من المصلحة في شيء.

٣٣- الإلمام بالقضايا المعاصرة والثقافة الواردة: على الداعية أن يكون ملمًا ومطلعًا على الأطروحات المعاصرة والقضايا الحالية، ويتعرف على الأفكار الواردة، فيقرأ الكتابات الواردة، وليس بصحيح ما قاله بعض الناس حتى من الفضلاء بعدم قراءة كتب الثقافات الواردة! فإن هذا ليس بصحيح، فلو لم نقراء هذه الكتب ونطلع على هذه الثقافات ما عرفنا كيف نعيش؟ وأين نعيش؟ ولما عرفنا كيف نتعامل مع هؤلاء الناس.

• بل أرى أن على الدعاة أن يقرءوا الصحف والمجلات، لكن بحيطة وحذر، حتى لا يصل قليلو الثقافة إلى بعض المجلات الخليعة فتفسد عليهم قلوبهم، لكن إن أرادوا أن يطلعوا فليطلعوا بانفراد وتأمل، ليعرفوا أهدافهم ويعالجوا ذلك وقال عمر -رضي الله عنه وأرضاه-: «إنما تنتقض عُرى الإسلام عروة عروة من أناس ولوا في الإسلام ما عرفوا الجاهلية».

فالذي لا يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام!

• فحق على الدعاة أن يطلعوا على هذه الثقافات - ما قلت - ومن يجد كتابًا فيه شبهة أو فيه نظر فليعرضه على من هم أعلى منه حتى يكون على بصيرة، ونخرج بحلٍّ إما بتنبيه أو بنصيحة عامة.

٣٤- مخاطبة الناس على قدر عقولهم: على الداعية أن يكون حاذقًا، يخاطب الناس على قدر عقولهم، فإذا أتى إلى المجتمع القروي تحث بما يهم أهل القريه من مسائلهم التي يعيشونها، وإذا أتى إلى طلبة العلم في

الجامعة حدثهم على قدر عقولهم من الثقافة والوعي. وإذا أتى إلى مستوى تعليمي أدنى تنزل إليهم في مسائلهم وتباطأ، فإن لكل مسائل.

فمسائل البادية - مثلاً -: الشرك أو السحر أو الكهانة أو الإخلال بالصلاة أو نحو ذلك.

ومسائل أهل الجامعة - مثلاً -: الأفكار الواردة من علمنة وإلحاد وحداثة، وشبهات وشهوات.

ومن مستوى الأدنى من ذلك: الجليس، بر الوالدين، حقوق الكبار، حفظ الوقت، قراءة القرآن.. ونحو ذلك.

• فلا بدّ من مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وعلى قدر مواهبهم، وعلى قدر استعدادهم، انظر إلى المصطفى ﷺ يخاطب معاذ بن جبل بخطاب لا يخاطب به غيره من الأعراب، فيخاطبه عن العلم، وعن أثر العلم، وعن حفظ الله، وعن حدود الله، ويخاطب الأعراب عن التوحيد وأنه يقودهم إلى جنة عرضها السماوات والأرض.. ونحو ذلك.

٣٥-مراعاة التدرج في الدعوة: كذلك ينبغي للداعية أن

يتدرج في دعوته، فيبداء بكبار المسائل قبل صغارها، فلا يُقحم المسائل إقحامًا، فبعض الدعاة يذهبون إلى أماكن البادية في بعض القرى فيريد أن يصب لهم الإسلام في خطبة جمعة واحدة!

وما هكذا تعرض المسائل!!

عليك أن تأخذ مسألة واحدة تعرضها عليهم، وتدرسها معهم كمسألة التوحيد، أو مسألة المحافظة على الصلوات، أو مسألة الحجاب، أما أن تذكر لهم في خطبة واحدة أو في درس واحد مسائل التوحيد، والشرك، والسحر، والحجاب، والمحافظة على الصلاة، وحق الجار، فإنهم لا يمكن أن يحفظوا شيئًا.

أوردها سعد وسعد مشتمل
ما هكذا تورد يا سعد الإبل

يرسل الرسول ﷺ معاذًا إلى اليمن، يقول له: «**أوّل ما تدعوهم شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك فأخبرهم أن الله فرض عليم خمس صلوات في اليوم والليلة**».

• هكذا يعرض الداعية، لا تأتي إلى ناس لا يصلون وتطالبهم بتربية اللحى!! فماذا ينفع في الإسلام أن يربي الناس لحاهم، وهم لا يصلون؟!

وكذلك لا تطالبهم بصغار المسائل حتى تخرج أنت وإياهم على مسائل كبرى، تتفقون على قدر مشترك، وتحاول بأساليب مختلفة.. مرة بالموعظة، ومرة بالخطبة، ومرة بالرسالة، ومرة بالندوة، ومرة بالأمسية، حتى تسلك السبل كافة

• فإن بعض الناس قد يتأثر بخطبة الجمعة ولا يتأثر بالدرس، وبعضهم على العكس من ذلك، وأحيانًا يكتب لهم رسالة، وأحيانًا يتصل بهم بالهاتف، وأحيانًا يرسل لهم بعض الدعاة. فأرى أن تجديد الأسلوب مطلوب في عصر جُدّدت فيه أساليب الباطل!

والله يُخبر عن أهل الباطل أنهم أكثر مالًا، وأكثر أنفاقًا، وأكثر وسائل، قال: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦].

لذلك لا ييأس الإنسان من قلة وسائله، فإن الرسول عليه

الصلاة والسلام كانت ثقافات العالم حوله في جزيرة العرب – إمبراطورية كسرى وإمبراطورية قيصر – يملكون كل الإمكانيات الضخمة، ومع ذلك كان هو في بيته المبني من الطين وبوسائله البسيطة، ولكن مع الإخلاص والصدق بلغه الله ما تمنى، وبلغ الدين مشارق الأرض ومغاربها!

٣٦- ألا يسقط عيوبه على الآخرين: مما ينبغي على الداعية أن يَحذَرَ منه ألاّ ينتقد الآخرين ليرفع من قدر نفسه. « وهو أسلوب الإسقاط » كما يُسمّى هذا في التربية.. أن تسقط غيرك لتظهر أنت، ويفعله بعض الناس من أهل الظهور وحبّ الشهرة – والعياذ بالله من ذلك – وأهل الرياء والسمعة، فإنه إذا ذكر له عالم قال فيه كذا وكذا!! وإذا ذُكر له داعية، قال: ما أرضى مسيره في الدعوة!! وإذا ذكر له كاتب انتقده كما قال شيخ الإسلام ابن تيميه: – سقاه الله من سبيل الجنة و«بعض الناس كالذباب لا يقع إلا على الجرح».

فالذباب يترك البقعة البيضاء في جسمك، فإذا كنت لابسًا ثوبًا أبيض وكنت متطيبًا، لا يقع الذباب عليه! لكن

إذا رأى جرح في إصبعك وقع عليه!

٣٧- ينبغي للداعية أن يكون آلفا مألوفا: ينبغي للداعية أن يتآلف مع الناس بالنفع، فيقدم لهم نفعًا، فليست مهمة الداعية فقط أن يلاحقهم بالكلام! أو يلقي عليهم الخطب والمواعظ! لكن يفعل كما فعل رسولنا ﷺ، يتآلفهم مرة بالهداية ومرة بالزيارة، ولا بأس بالدعوة، فإن رسول الله ﷺ دعا الناس وآلفهم وأعطاهم وأهدى لهم، بل كان يعطي الواحد منهم مائة ناقة، وكان يأخذ الثياب الجديدة، وكان يعانق الإنسان ويجلسه مكانه، فهذا من التآلف.

• وليست هناك صعوبة لتأليف كثير من الناس، وردهم إلى الله - عز وجل - مثل تأليف كثير من الشباب العصاة.. إذا رأيت شابًا عاصيًا وعلمته، أو وجدت شابًا لا يستطيع الزواج ودفعت له المهر أو شيئًا من المهر، وقلت له أن يصحبك لصلاة الجماعة، وأن يعود إلى الله وأن يتوب.

أن تتآلف إنسانًا تراه - مثلًا - مدمنًا للمخدرات بشيء من المال بشرط أن يتركها ويجتنبها وهكذا.

٣٨- أن يكون عند الداعية ولاء و براء نسبي:

ينبغي على الداعية أن يكون عنده ولاء وبراء نسبي، حُبّ وبغض، على حسب طاعة الناس، وعلى حسب معصيتهم، ولا تحب حبًا مطلقًا لمن فيه طاعة، ولا تبغض بغضًا مطلقًا لمن فيه معصية، ولكن تحب الإنسان على قدر طاعته وحبه لله، وتبغضه على قدر معصيته ومخالفته لله، فقد يجتمع في الشخص الواحد حب وبغض، تحبه لأنه يحافظ على صلاة الجماعة، وتبغضه لأنه يغتاب الناس!

تحب شخصًا آخر لأنه يعفي لحيته، وتبغضه لأنه يسبل ثوبه، فيجتمع في الشخص الواحد حب وطاعة!

٣٩- أن يكون الداعية اجتماعيًا: على الداعية أن يشارك الناس أحزانهم، ويحل مشكلاتهم، ويزور مرضاهم، فالانقطاع عن الناس ليس بصحيح، فإن الناس إذا شعروا أنك معهم تشاركهم أحزانهم وأتراحهم تعيش مشكلاتهم، أحبوك، ولذلك أقترح على الدعاة أن يحضروا حفلات الزواج، وقد يتعذر أحيانًا عن عدم حضور حفلات الزواج

لما عنده من إرهاق، فلا يعني ذلك أنه لا يحب المشاركة، لكن يحضر الزواج، فيبارك للعريس، ويبارك لأهل البيت، ويفرح معهم، ويقدم الخدمات، ويرونه متكلمًا في صدر المجلس، يرحب بضيوفهم معهم، فيحبونه كثيرًا

٤٠-**أن يُنزل الناس منازلهم**: كذلك ينبغي على الداعية أن ينزل الناس منازلهم، فلا يجعل الناس سواسيه، فالعالم له منزلة، والمعلم له منزلة، والقاضي له منزلة، وهكذا: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].. فليس الناس عنده في منزلة واحدة.

وهذا ليس نوعًا من التفريق أو التمييز العنصري، بل هذا من أدب الإسلام. يختلف لقاء هذا عن ذاك، وتختلف نزلة هذا عن ذاك، وبعضهم لا يرضى إلا بصدر المجلس، وبعضهم لو عانقته يكون له عناق مختلف، وبعضهم له عناق آخر!

• فإنزال الناس منازلهم من الحكمة التي ينبغي أن يتحلى الداعية في تعامله مع الناس، كما فعل النبي ﷺ حيث كان ينزل الناس منازلهم، كما جاء في صحيح مسلم

ورواه مسندًا أبو داود، وهو صحيح من كلام عائشة

٤١- قبل أن تدعوهم لا بد أن تملك قلوبهم: إن الداعية إلى الله عز وجل ينبغي أن يكون ذا قلب كبير يسع الناس جميعًا بمختلف أوضاعهم ونفسياتهم وجنسياتهم، ويتعامل معهم برفق، ويقدم لهم أفضل ما عنده من فنون التعامل، ويتخير لهم أفضل القول وأجمل المنطق مع بذل الندى وكف الأذى. ولقد كسب النبي ﷺ قلوب من حوله مع مجانبة تقليدهم في انحرافاتهم؛ فكانوا يسمونه: (الصادق الأمين) قبل أن يبعث؛ فقد ملك قلوب الناس بحسن خلقه وسماحته.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

٤٢- التجمل بالسخاء والجود:

إن من السمات المميزة للدعاة إلى الله تعالى كرمهم وبذلهم كل خير للناس؛ فيبذلون للناس الخلق الحسن

والجاه إن احتيج إليه، ويبذلون ما يستطيعون للناس من مرتفقات هذه الدنيا؛ ليبينوا لهم أنهم ليسوا طلاب دنيا وأن الدنيا آخر اهتماماتهم، فيبذلوا الدنيا للناس ليستجلبوا قلوبهم إلى الدين؛ فمنهج رسولنا ﷺ هو منهج العطاء والبذل؛ فقد كان الأعرابي يرجع إلى قومه ويقول: يا قوم أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

٤٣ - احترام الآخرين والاهتمام بقضاياهم:

فإن النفوس تميل إلى من يحترمها ويرفع من قدرها خاصة إذا كان أولئك أصحاب مكانة في قومهم؛ فإن النبي ﷺ أمر أن يُنزَّل الناسُ منازلهم.

وإن من أهم أسباب إسلام كثير من الصناديد هو رفع منزلتهم في الإسلام: كالأقرع بن حابس، وأبي سفيان، وعيينة بن حصن، وثمامة بن أثال.

ولقد كان من هدي النبي ﷺ الاهتمام بقضايا المسلمين حتى لقد كان يهتم بأمور العبيد والموالي.

فها هو ﷺ يشفع لمغيث عند زوجه بريرة لكي ترجع

إليه بعدما عُتِقَت وهو عبد، وغير ذلك كثير من أمثلة اهتمامه ﷺ بقضايا أمَّته.

٤٤- الترفع عن دنياهم: السيارات والحديث عن العقارات، والسباحة في بحور الأمنيات الدنيوية؛ فهو لا يجيد السباحة في هذه البحور التي لا ساحل لها؛ بل لا تراه إلا في الدعوة وحولها يدندن.

السيارات والحديث عن العقارات، والسباحة في بحور الأمنيات الدنيوية؛ فهو لا يجيد السباحة في هذه البحور التي لا ساحل لها؛ بل لا تراه إلا في الدعوة وحولها يدندن.

وليس معنى ذلك أن يهجر الداعية حياته وأصحابه، وأن يكون جاهلًا بواقعه، كلا، ولكننا نريد ارتقاء بالاهتمامات، وتميزًا في الرغبات، وألاَّ يغيب عن همِّ الدعوة، كيلا نكون كالهمج الرعاع الذين يجرون خلف كل ناعق.

فإن أهل العلم دائمًا يستحقرون هذه الدنيا وإن عظمت صورتها وحقيقتها عند العامة والدهماء.

اقرأ إن شئت قصة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠].

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ومن الأمور المهمة أيضًا استغناء الداعية عن الناس قدر إمكانه، وعدم إراقة ماء وجهه ما استطاع، بل هو الذي يبذل الخير للناس.

٤٥- (التأني في الإنكار): وذلك خشية أن يقع صاحبه في الظلم، فقد ينكر على الآخر على عجالة بدون تأني ويكون إنكاره ليس له وجه، فيقع المُنكِر - بضم الميم وكسر الكاف - في ظلم المنكر عليه، فيقع في المخالفة الشرعية ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ [الحج: ٧١].

فعلينا تذكر كلام حبيبنا ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة

مرفوعا: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» رواه مسلم.

ولا أعني بذلك أن يصاب المؤمن ببرود الدم فيرى المنكر ولا يحرك ساكنا لا والله، ولكن ما قصدته أن ما يظهر للبعض أنه منكر محتمل ويسعه الخلاف، أو أنه غير متأكد من درجة المنكر، فلا يدري بأي درجة يعالج؛ لأن لكل منكر طريقة إنكاره، ومن هنا وجب التفقه في علم الحسبة، ومناهج السلف؛ حتى نوفق في إنكارنا. فمن المنكرات ما يسكت عنه، ومنها ما يعجل فيه بالإنكار، وهذا بابه واسع يحتاج لعلم وخبرة. وهذا يفضي بنا إلى التنبيه التالي:

٤٦- (ترك التعصب): فأحيانا نجد البعض من شدة تعصبه لعالم من العلماء يشنع تشنيعا شديدا على العلماء والدعاة المخالفين لرأي شيخه، وهذه عصبية مقيتة تدل على ضعف إيمان وعقل وعلم صاحبها، فتعمى العصبية لشيخه بصره، وتغشى على عقله، فلا يرى حسنا إلا ما حسنه شيخه، ولا صوابا إلا ما ذهب إليه شيخه!!. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ

ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة: ٩١].

ولهذه العصبية تبعات خطيرة على صاحبها منها: أنها ستصده بكل قوة عن معرفة دليل المخالف لشيخه، أو الاستماع إليه أو فهمه وتأمله.

٤٧- أن يكون حسن الذوق في كل شؤنه ولك الأمور المعينة على تحصيل هذه الذوق وأمثالها ما يلي:

١- المطالعة في كتب الأخلاق الإيمانية، والطرق الإحسانية.

مثل: مدارج السالكين، ، وتهذيبها لعبد المنعم العزي، وصيد الخاطر لابن الجوزي، وإحياء علوم الدين مهذبًا. وتلمس مثل هذه المعاني في دواوين السنة وسيرة المصطفي، وسير النبلاء من أصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

٢- المطالعة الأدبية في كتب الأدب، والنظر في دواوين الشعر، قديما وحديثاً، فإن أكثر الأدباء لهم أحاسيس رقيقة، مكنتهم من اكتشاف الأذواق الرفيعة.

٣- المخالطة الاجتماعية لأهل الفضل، وأبناء العوائل الأصيلة، والعلماء والكتاب، وذوي الذوق حتى من غير أهل الالتزام، والخروج من مجتمع الدعاة إلى المجتمع الواسع، فإن في أشراف الناس بقية خير وافر، وإن قصروا عن إدراك معنى الدعوة، ولم يسلكوا درب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

. صفات وآداب ينبغي للدعاة والخطباء التحلى بها:

أولًا: صفات الخطيب:

يمكن تقسيم الصفات المطلوب توفرها في الخطيب إلى نوعين:

النوع الأول: صفات وهبية أو فطرية:

ويقصد بها الصفات التي جُبل عليها ولم يُبذل في تحصيلها دراسة أو مران أو دربة.

وهذه الصفات قسمان:

القسم الأول: صفات ضرورية:

ولا غنى عنها للخطيب الكامل وهي:

١- طلاقة اللسان: فاللسان أداة الخطيب الأولى، وطلاقته ألزم صفاته وأشدها أثرًا في نجاحه، وقد بالغ بعض الناس حتى عدها ركن الخطابة الوحيد.

٢- رباطة الجأش: يجب أن يكون مطمئن النفس واثقًا من نفسه ثابتًا غير مضطرب، فالمستمعون إن أحسوا بضعفه واضطرابه صغر في نظرهم، وهان كلامه في أعينهم، كما أن الاضطراب يورث الحيرة والدهش وهما يورثان الحبسة والحصر.

وهذه الصفة وإن كانت وهبية في أصلها؛ إلا أنه يمكن تنميتها واكتسابها بالدربة.

٣- جهارة الصوت وحسنه: وهذه من الصفات الضرورية التي تمكن الخطيب من الاستيلاء على نفوس السامعين وجلب إصغائهم إليه، وهذه الصفات وإن كانت فطرية إلا أنه يمكن اكتساب بعضها كجهارة الصوت بتدريب الحنجرة وترويضها على الصوت المرتفع، ولا نعني بجهارة الصوت الصراخ الذي يسبب نفور المستمعين.

وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وقد كان عليه الصلاة والسلام إذا خطب احمرّت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم...

٤- سُرعة البديهة: حتى إذا وجد من القوم إعراضًا أو تعرض لموقف محرج أسعفته بديهته بالخروج من محنته وأزمته وإلا ضاعت الخطبة وآثارها.

• وهذه الصفة ترجع إلى حدة ذكاء الخطيب وشدة انتباهه وطول تجربته إضافة إلى ثقته بنفسه وقدرته على السيطرة على الموقف دونما ضعف أو خوف.

والخطيب إذا واجه سؤالًا لا تحضره إجابته فعليه ألا يتحرج ويظهر ارتباكه ويمكنه الخروج من هذا الموقف بأن يقول للسائل: أعده علي بعد الخطبة أو نحو ذلك.

وإذا واجه اعتراضًا لا يمكن الرد عليه فخير له التغافل عنه والاستمرار دون أن يعير قائله اهتمامًا.

وربما يتعرض الخطيب لموقف صعب غير متوقع يحتاج إلى أخذ قرار سريع ومناسب، كانقطاع التيار مثلًا،

أو إغماء أحد المصلين أو تشنجه أو موته، والخطيب إذا لم يكن هيأ نفسه لمثل هذه المواقف ومعرفة التصرف الشرعي الصحيح فيها وأعد القرار المناسب لكل منها حسب ما تقتضيه الظروف والمصلحة فلا شك أن ذلك يكون سببًا لارتباكه أو ربما لاتخاذ قرار خاطئ مثل ترك هذا المغمى عليه دون إسعاف له ثم العودة إلى خطبته أو قطعها إذا لزم الأمر.

٥- **رجاحة العقل**: وهذه الصفة لازمة للخطيب ولغيره من المربين والموجهين، وبها يتمكن من البحث المركّز والملاحظة الدقيقة والاستنباط الصحيح وحسن المقارنة والموازنة بين الأشياء والمعرفة بطبائع الأشياء والأشخاص والأحداث.

القسم الثاني: صفات تكميلية:

وهذه الصفات دون الأولى في لزومها، ولكن على قدر توافرها في الخطيب تكون منزلته، وبها تتفاوت مراتب الخطباء ومنازلهم، ومن هذه الصفات:

١- قوة العاطفة: فليست النائحة الثكلى كالمستعارة، ولا يعرف الشوق من لم يكابده، ولا الصبابة من لا يعانيها، وإذا لم يكن الخطيب جياش العاطفة حي المشاعر رقيق القلب مرهف الإحساس خرجت كلماته ميتة لا حياة فيها ولا روح، وكان أشبه بالنائحة المستعارة، ولم تتجاوز كلماته الآذان فالعاطفة للخطبة كالروح بالنسبة للجسد، لكن ينبغي أن تكون هذه العاطفة موزونة بالعقل الرشيد، والرأي السديد، وأن تكون خاضعة وموافقة لأحكام الشرع المجيد.

٢- النفوذ وقوة الشخصية: وهذه هبة من الوهاب العليم يهبها بعض الناس فتشعر منه بقوة الروح وعظم النفس، وهذه الصفة في الخطيب تكسب كلماته ونظراته وصوته قوة ونفاذًا وتأثيرًا عظيمًا في الجماهير، وهكذا كان ﷺ من رآه بديهة هابه، ومن عاشره خلطة أحبه.

وإذا كانت هذه منحة ربانية وهبة لا دخل للعبد فيها إلا أن هناك أسبابًا وعوامل تضعفها أو تقويها، فمما يضعفها

تبذل الخطيب بثيابه ووقوعه في رذائل الأعمال والأخلاق، ومزاحه الكثير أو القليل

النوع الثاني من صفات الخطيب: صفات كسبية:

وهذه الصفات ينالها الخطيب بالدراسة والمران والدربة، وهذه الصفات هي:

أولاً: العلم والاطلاع: وهي أولى الصفات وأهمها على الإطلاق، فقد بدأ الله بالعلم قبل العمل فقال لنبيه ﷺ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩] وهو البصيرة التي جعلها شرطًا لاتباع سبيل نبيه ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨]. والخطيب مربٍ ومعلم وموجه، وإذا لم يكن عالمًا مطلعًا كان ضرره أكبر من نفعه، بل لم يكن فيه نفع ألبتة، والعلم درجات ومنازل، منها الضروري ومنها التكميلي.

أما العلوم الضرورية اللازمة للخطيب فهي:

١ - علوم القرآن والسنة:

وهذا هو لب بضاعة الخطيب ورأس ماله، فالخطيب

داعية إلى الله ولا يمكن أن يهدي الناس ويعلمهم ويرشدهم بعيدًا عن الكتاب والسنة وقد قال ﷺ محذرًا من صنيع أولئك الذين يدعون بعيدًا عن الكتاب والسنة وأن ذلك من الدخن فقال في وصفهم: «قوم يهدون بغير هديي ويستنون بغير سنتي».

أ) الخطيب والقرآن:

لاشك أن حافظ القرآن عن ظهر قلب أقدر على استحضار الآيات والاستشهاد بها وأن هذه الصفة من صفات الكمال للخطيب، ولكن لاشك أن هناك قدرًا ضروريًا لا غنى للخطيب عنه، هذا القدر يتعلق أولًا بالقدرة على التلاوة الصحيحة السليمة لكتاب الله عز وجل بغير لحن، ثم القدرة على استحضار الآيات المتعلقة بموضوع خطبته ومعرفة أقوال أهل العلم في تفسيرها والتمييز بين الصحيح والسقيم، والإسرائيليات والموضوعات وغيرها.

ولا يفوتنا هنا التنبيه إلى المنهج الصحيح في دراسة

التاريخ والاستقاء منه والحذر من الروايات غير الموثقة، فليس كل ما تحويه كتب التاريخ صحيحًا مائة في المائة، فكم حوت مراجع التاريخ من مبالغات وتشويهات وتحريفات، ربما كان وراءها أهواء وعصبيات سياسية أو دينية أو مذهبية.

وكذا يجب الحذر من الاعتماد على كتّاب غير مسلمين من منصرين أو مستشرقين وغيرهم، وكتابات غير أهل السنة والجماعة ممن عرف عنهم فكر منحرف أو عداء للسنة وأهلها.

٣- العلم باللغة والأدب:

ويكفي لمعرفة أهمية هذا العلم أن يستمع من له بعض الدراية باللغة ومفرداتها لكثير من الخطباء بل أكثر الخطباء تجد المنصوب عنده مرفوعًا، والمرفوع منصوبًا أو مجرورًا، والمجرور مرفوعًا أو منصوبًا، وربما سار بعضهم على وتيرة واحدة، فينصب كل ما ينطق به لسانه، وربما رفعه كله أو جره، وهكذا يخرج المرء من الخطبة،

وقد تأذى سمعه واقشعر جلده واضطرب قلبه.

بل ربما تمنى صاحبنا أن لو كان لا يعلم عن اللغة شيئًا حتى يتسنى له الاستفادة من الخطبة والاتعاظ بها.

وأما الأدب بشعره ونثره وأمثاله وحكمه فهو نافذة الخطيب على الروائع والشوامخ، به يثقف لسانه ويجود أسلوبه ويرهف حسه، ومنه يحصل العبارات الرائقة والأساليب الفائقة والصور المعبرة والأمثال السائرة والحكم البالغة مما يعينه على إيصال المعنى لطبقات السامعين على اختلاف مشاربهم ومآكلهم وموارده‍م.

وهذا يتأتى بالنظر في أقوال البلغاء والتأمل في مناحي التأثير وأسرار البلاغة.

ومن الكتب التي تعين على ذلك كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وصبح الأعشى للقلقشندي مع الانتباه إلى الحذر من الإغراب في الألفاظ والعبارات، والانسياق وراء السجع ومبالغات الأدباء.

٤ - العلوم الإنسانية:

ومنها علوم النفس والاجتماع ونحوها مما له علاقة وثيقة بموضوع الدعوة والخطابة وهو الإنسان على اختلاف طباعه وخصائصه وثقافاته، والإلمام بهذه العلوم يعين على فهم الناس وطبائعهم وأمزجتهم ومناحي التأثير والتوجيه فيهم.

ولكن ينبغي التنبه والحذر من الإغراق في هذه العلوم وتلقيها من غير أصحاب العقيدة الصحيحة إلا إذا كان لديه من العلم والقدرة ما يميز به الغث من السمين، إذ إن غالب هذه العلوم للأسف الشديد شابها نزغات الفلاسفة والمناطقة من غير أهل الإسلام أو من أهل الإسلام الذين تبنوا المذاهب الكلامية التي على غير منهج السلف. ومن هذه العلوم:

أ) علم النفس:

ونقصد به العلم التجريبي الذي انتهت إليه الدراسات النفسية الحديثة القائم على الدراسة العلمية المنهجية

للظواهر النفسية على أساس الملاحظة والتجربة والقياس والاختبار، ولا نقصد به ذاك الذي كان جزءًا من أجزاء الفلسفة أو ما اشتهرت به مدرسة التحليل النفسي وما انبثق عنه من نظريات باطلة لا دليل عليها.

وهذا العلم تكمن أهميته في إعانة الخطيب والداعية على فهم نفسية من يتوجه إليهم بالخطاب وما يؤثر فيهم ويشغل اهتماماتهم، وهل قول ابن مسعود لما قيل له: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم قال: «أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا» هل هذا القول إلا من هذه المشكاة، بل هو أصل في هذه المشكاة؟

ب) علم الاجتماع:

وهو العلم الذي يُعنى بدراسة المجتمع البشري في مختلف جوانبه، ويعمل على تحليل ظواهره والكشف عن القوانين التي تحكم مسيرته.

وهذا العلم له مدارس عديدة واتجاهات متباينة، لكل منها مناهجه في البحث والتحليل، ويحسن بالداعية والخطيب أن يطلع على نبذة من أصول هذا العلم وأهم مقرراته وأحدث ما انتهى إليه رجاله.

ويجب الانتباه إلى ضرورة تناول أسس هذا العلم من منظور إسلامي ووفق العقيدة الصحيحة.

٥- الإلمام بأصول الثقافة المعاصرة:

فالمسلم اليوم يعيش في عالم مفتوح، ما يجري في مشرقه يتم الاطلاع عليه وسماعه وقراءته في يومه، بل ربما في ساعته، والإعلام اليوم ومن يقفون وراءه غالبًا ما يمثلون المبادئ المخالفة للإسلام من يهود ونصارى وعلمانيين ومن على شاكلتهم، وهؤلاء يوجهون الدفة إلى حيث يريدون أن يغرسوا أذهان الناس وعقولهم خاصة أهل الإسلام.

وكثير من الناس لا يعرفون إلا ما تخاطبهم به هذه الوسائل، ويتلقونها ويرونها حقائق مسلمة لا تقبل الجدال

والنقاش، ولا يمكن أن يكشف اللثام عن حقيقتها ووجهتها إلا من خلال إعلام مسلم فعال مواكب جاد، ويبقى المنبر هو رائد هذا الإعلام وفارسه وصاحب الكلمة العليا فيه، ولكن للأسف الشديد فإن الخطباء لا يدركون هذه الحقيقة ولا يروون ظمأ الجماهير التي تأتي المسجد تريد معرفة وجه الحق والنظرة الصحيحة المستقاة من الشريعة الغراء لما يجد من ملمات وأحداث، ولكنها تصطدم بخطيبها الذي لا يدرك عن الأمر شيئًا، وربما إذا تحدث فيه تحدث عن غير علم ودراية، فيزيد الطين بلة.

فينبغي للخطيب أن يكون عارفًا بمواقع الثقافة الجديدة وأهوائها الفكرية، وخلفياتها وأبعادها القريبة والبعيدة، وأن يكون متابعًا لأحوال الأمة واهتماماتها وما يراد بها.

ولا نعني بذلك أن تكون رغبة الجماهير هي المسيطرة والموجهة لدفة المنبر وما يطرحه من

موضوعات، وإنما المقصود أن كثيرًا من القضايا والمستجدات التي تحل بالأمة ويتناولها جميع أهل الأرض إلا أصحاب الشأن وهم المسلمون، ولسان حالهم ومقالهم وهم الخطباء.

أ) واقع العالم الإسلامي:

فما أقبح بالخطيب أن يجهل أحوال أمته وواقع عالمه، وإلا فأين الجسد الواحد، ومن أين تستقي الجماهير أخبار إخوانهم وكيف يمكنهم مد العون لهم أو على الأقل المشاركة بالدعاء والدعم المعنوي لقضاياهم وأزماتهم؟!

ب) واقع القوى العالمية المعادية للإسلام:

إن تكالب أعداء الإسلام على الإسلام ودعاته أمر لا ينكره إلا مكابر، وتنوع أساليب الأعداء وتبادلهم الأدوار، فهذا اليوم يقدم بدور الحمائم، وغدًا يكون هو الصقر الذي ينقض على فريسته، ومع غفلة الأمة عن إدراك حقيقة الصراع وطبيعته يصبح دور الدعاة وخطباء الأمر أمرًا لازمًا لتبصير الأمة بهؤلاء الأعداء وأساليبهم ومؤامراتهم، ولكن

للأسف الشديد الناظر في أحوال الأمة اليوم يدرك غياب هذا الدور تمامًا، ولا زالت تلهث وراء أعدائها وتتعلق آمالها بهم غافلة عن تاريخهم وعدائهم ومكرهم، وما ذاك إلا لأنهم اليوم يقومون بدور الحمائم، ومن ذلك تعلق المسلمين اليوم بروسيا أو فرنسا ليعيدوا إليهم حقوقهم السليبة وكرامتهم المفقودة وأرضهم المغتصبة ناسية أو متناسية دورهم القبيح وأفعالهم الشنيعة مع الشعوب المسلمة.

فإدراك الخطيب بهذا الواقع وأساليب الأعداء من اقتصادية وسياسية وفكرية وتنوع صورها من مؤسسات تنصيرية أو تبشيرية أو استشراقية، أو ماسونية، وتحذيره الأمة وتبصيرها بذلك من شأنه أن يقيها ضربات موجعة مؤلمة، ولكن يجب الانتباه إلى أمرين:

الأول: عدم التهويل والمبالغة في شأنها، الأمر الذي ربما سبب اليأس والقعود، كما أن التهوين يسبب الاستهانة وعدم الأخذ بالأسباب.

الثاني: إدراك طبيعة العلاقة بين هذه القوى المعادية، وأنهم تحسبهم جميعًا، وقلوبهم شتى.

جـ- واقع الأديان المعاصرة:

فمعرفة واقع الأديان المعاصرة وما اعتراها من تحريف وانحراف أمر ذو بال؛ فمعرفة اليهودية بتوراتها المحرفة وتلمودها ونظرته إلى الأمميين وانعكاس ذلك على الحركة الصهيونية وطبيعة الصراع الإسرائيلي.

ومعرفة النصرانية بطوائفها وكنائسها وما بينها من صراعات وخلافات ومحاولات ما يسمى بالتقارب النصراني اليهودي وتبرئة اليهود من دم المسيح وما ترتب على ذلك من تغير طبيعة الصراع بينهما وتوحيد الجبهة ضد المسلمين.

وكذا معرفة أديان الشرق الأقصى الكبرى من هندوسية أو بوذية وطبيعة العلاقة بينها وبين المسلمين، كل ذلك رصيد يحتاجه الخطيب ولا غنى له عنه.

د- واقع المذاهب السياسية المعاصرة: من شيوعية

ورأسمالية واشتراكية وديمقراطية وعلمانية وقومية وعولمة، ومعرفة الفرق بينها وأبعادها ومدارسها وصور ممارساتها في العالم الإسلامي ولبوس الزور التي تلبسها للتلبيس على المسلمين، وموقف الإسلام منها ومبادئها.

هـ- واقع الحركات الإسلامية المعاصرة: ومعرفة أصولها الفكرية والحركية ومبادئها وحجم دعوتها وتأثيرها، وكيفية دعم الحركات التي على منهج أهل السنة والجماعة، والحذر من الحركات المخالفة لهذا المنهج مع النظرة الصحيحة القائمة على العدل، والمستقاة من النظرة الصحيحة في التعامل معها.

ثانيًا: الدربة والمران أو الإرتياض والممارسة:

إن الفطرة والاطلاع وثروة الألفاظ والقراءة الكثيرة والعلم بالأصول الخطابية لا تكفي في تكوين الخطيب لأن الخطابة ملكة وعادة نفسية لا تتكون دفعة واحدة، بل لابد لمريدها من المعاناة والممارسة والمران لتنمية مواهبه وعلاج عيوبه، ولم يبدأ خطيبٌ حياته كاملًا إلا المعصوم

ﷺ، وكثير من الخطباء الناصعين كانت فيهم عيوب كلامية وغيرها فلا زالوا يعالجونها ويتمرسون على الخطابة وأسبابها حتى وصلوا إلى ما هم فيه.

ورياضة النفس على الخطابة تكون بأمور كثيرة؛ بعضها يتعلق بالإلقاء، وبعضها يتعلق بالأسلوب والفكرة.

ومن الرياضة التي تتعلق بالفكرة: أن يعود نفسه ضبط أفكاره ووزن آرائه وعقد صلة بينها وبين واقع الناس وأمورهم الحياتية، ومنها كثرة التأمل في شؤون الحياة وتعميق الفكرة فيها والدراسة لأحوالها، وأن يعود نفسه الاتصال بالناس ومعايشتهم لينبض بنبضهم ويعيش أحلامهم وأحاسيسهم.

* وأما الأسلوب: فيعود نفسه الحديث بجيد الكلام وكتابته ومحاكاة البلغاء في أساليبهم مع الحذر من أن يرتدي غير ثوبه أو يطمس معالم شخصيته.

وأما الإلقاء: فيعود نفسه إخراج الحروف من مخارجها وقراءة ما يستحسنه بصوت مرتفع مصورًا بصوته معاني ما

يقرأ بتغيير النبرات ورفع الصوت وخفضه، وغشيان ميادين القول والخطابة واغتنام فرصتها غير هياب ولا وجل ولا مستحٍ، فإن الاستحياء في هذا نوع ضعف وهو يجر إلى الحبسة وموت المواهب، ويعود نفسه الارتجال ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وعليه ألا ييأس إن أصابته حبسة أو ارتباك، على الخطيب أن يعلم أن أول وآخر طريقة فعالة لتوكيد الثقة بالنفس في فن الخطابة هي أن يقف ويخطب، عليه أن يدرك أن الطريقة الوحيدة لتعلم السباحة هي النزول إلى الماء!!

وثم أمر هام ينبغي التفطن إليه وهو أن الرياضة ليست فقط لطالب الخطابة، بل لزومها ربما يكون آكد لمن شدا فيها وعظم أمره، وهذا عمر رضي الله عنه يوم السقيفة يقول: فزورت في نفسي كلامًا، أي: إنه أعد في نفسه كلامًا وهيأها له، وهو من هو في البلاغة والفصاحة.

وهذا شيشرون أخطب خطباء الرومان يتمرن على إلقاء الخطبة قبل أن يقدم على إلقائها، وكانت تلك حالته

حتى قتل.

ومما يتعلق بالفكرة هنا القدرة على استحضارها أو تنمية الذاكرة، وهذه مسألة هامة جدًا للخطيب المرتجل على وجه الخصوص، والذاكرة القوية مع كونها فطرية في أصلها إلا أن أسباب اكتسابها ربما كانت أظهر للخطيب، وقوانين التذكر الطبيعية بسيطة جدًا وهي ثلاثة:

أ) الانطباع:

فهو أول قانون للذاكرة، والمقصود منه العمق والسرعة والرسوخ في الأمر المرغوب تذكره، وإن خمس دقائق من التركيز الشديد تعطي نتائج أهم بكثير مما يعطيه قضاء عدة أيام في التأمل، ويمكن للخطيب أن يعود نفسه على التركيز في الانطباع بالاهتمام مثلًا بحفظ الأسماء الجديدة التي يتعرف عليها، وهؤلاء الذين لا يتذكرون أسماء من يتعرفون عليهم وينسونها في لحظتها حقيقة سلوكهم ليس في ضعف الذاكرة كما يرددون أحيانًا، وإنما في ضعف ملاحظتهم، ويمكن التأكيد على الانطباع الأول

باستخدام أكثر من حاسة، كالنظر والسمع إذا قرأ الإنسان ما يريد تذكره بصوت يسمعه.

ب) القانون الثاني للتذكر: التكرار:

والتكرار الأعمى لا يكفي، والمطلوب هو التكرار الذكي الذي يصاحبه جهد ذهني، وهنا أمر هام أثبتته الدراسة النفسية وهو أن الإنسان الذي يجلس ويكرر مرارًا حتى يسيطر على ذاكرته يستخدم ضعف الوقت والطاقة الضروريتين لتحقيق النتائج ذاتها التي يمكن الحصول عليها بإجراء عملية التكرار في فترات منفصلة.

وهذه النتيجة جد مهمة للخطيب أن يعلمها وأن يعلم أنه بتأخيره وتحضير خطبته إلى ليلة أو يوم إلقائها فإنه بذلك يفقد نصف قدرة ذاكرته بسبب ما يتعرض له من إجهاد.

ج) القانون الثالث: ترابط الأفكار:

إن سر الذاكرة الجيدة هو ذاته سر تكوين عدة أفكار مترابطة ومتعاكسة لدى كل حقيقة ترغب في الحصول

عليها. مثلًا حتى يمكن تذكر اسم شخص ما يمكنك ربط اسمه بصفاته أو مهنته أو أحد الأسماء المتداولة، وكذا التواريخ والأرقام عن طريق ربطها بتواريخ وأرقام هامة ثابتة في الذهن، وأفضل الطرق لتذكر النقاط الرئيسة في الخطاب هو التسلسل المنطقي لعناصر الموضوع.

وما سبق فهو من أساسيات التحصيل العلمي والدربة إلا أن هناك أمورًا هامة يحسن التنبيه عليها وهي مرتبطة بها وهي:

١- تجنب الخوض فيما لا يعلم:

فإن هذا موقع الارتباك والحديث غير المفهوم، وهو أحد أسباب ضياع الهيبة والوقار وفقدان الثقة في الخطيب والزهد فيه والنفور منه.

٢- مخاطبة الناس بما يعرفون:

فمن الخطأ البين وقلة الفقه من الخطيب الخوض في دقائق العلوم والمعارف والخوض في الخلافات والعلوم التجريبية البحتة من طب وتشريح وفلك.. مما لا تدركه

فهوم عموم المستمعين، الأمر الذي يكون له أكبر الأثر في الانصراف عن الخطيب وربما الاستهانة به وبموضوعه والتندر به.

٣- مراعاة مقتضى الحال وأحوال السامعين ومراعاة عادات الناس وأعرافهم:

فلكل مقام مقال، ولكل جماعة لسان، والحديث إلى العلماء غيره إلى الأغنياء، وحديث العامة ليس كحديث العلية، وخطاب المثقفين غير خطاب الأميين، وما يقال في الخوف والشدة ليس كما يقال في الأمن والرخاء، ومخاطبة المتحمسين غير مخاطبة النائمين.

والمتكلم الجيد يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار السامعين وأقدار الأهوال.

كما أن خطاب أهل القرية المنعزلة المحدودة ليس كخطاب أهل المدينة المكتظة بأهلها وصحبها وأحداثها.

وكذلك لكل جماعة من الناس عاداتها التي تسودها وتسيطر عليها، ولها سلطانها على القلوب والأسماع

وغفلة الخطيب عن مراعاة ذلك من أعظم أسباب فشله.

وقد كان الأحنف بن قيس وهو من أبلغ البلغاء والخطباء المسودين فقيل له: بم سدتَ؟ قال: لو أن الناس كرهوا الماء ما شربته. ومعنى هذا اعتباره للعرف والعادة ومراعاة أهله.

ثانيًا: آداب الخطيب:

إن الخطيب رسول يتحدث عن الإسلام يقرب الناس إليه ويحببهم فيه ويوجههم للعمل بما يدعو إليه، وكل هذه مهام تتطلب صفات وآدابًا وخصالًا تحمل الناس على الانقياد له والتسليم له، وهذا لا يتأتى من روعة الخطبة وحدها ولا براعة الخطيب ومهارته، وإنما هناك أمور وآداب ينبغي لكل خطيب أن يتحلى بها ويتأدب بها إن أراد أولًا تحصيل مكانة وثواب الداعي إلى الله عز وجل ثم التأثير في الناس وتوجيههم لما يدعو إليه، ويمكن تقسيم هذه الآداب إلى:

أ - آداب باطنة:

وهي تتعلق بجملة من الأخلاق والآداب التي مردها إلى القلب والنفس وإن كان يظهر أثرها على السمت والظاهر، وهذه الآداب هي:

١ - الإخلاص: فيقصد بدعوته وخطبته وجه الله وحده لا سواه، لا يقصد جاهًا ولا شهرة ولا سمعة، فالخطابة والدعوة عبادة بل هي من أعظم الأعمال التي يتقرب بها إلى الله عز وجل، ومن ثم فلابد من توافر ركني القبول فيها وهما الإخلاص والمتابعة، وناهيك عن كون الكلمات الجوفاء غير المخلصة لا تؤثر في أحد ولا تحرك ساكنًا وتخرج ميتة، فإن المصيبة العظيمة والطامة الخطيرة في افتقار الإخلاص وعقوبة ذلك الأخروية:

وفي الحديث الصحيح: أول ثلاثة تسعر بهم النار يوم القيامة رجل تعلم العلم وعلمه ليقال عالم.

وعندما يغيب الإخلاص ويلتمس رضا الناس وثناؤهم؛ فإن الذي يحرك الخطيب هو رغبات الناس

واختياره لموضوع خطبته وطرحه بقدر ما يحقق له ذلك، فليحذر الخطيب من هذا الداء العضال وليعلم أنه لا يجتمع إخلاص ومحبة ثناء وطمع في الناس في قلب أبدًا إلا كما يجتمع الماء والنار، فمن أراد الإخلاص فليقبل على الطمع أولًا فيذبحه بسكين اليأس، وليقبل على حب المدح والثناء ويجهز عليه بسيف الزهد والطمع في الآخرة، فحينئذ يكون الإخلاص.

٢- القدوة الباطنة: ونعني بها موافقة العمل للقول وتصديقه له.

وذلك أن الداعي من المدعو يجري مجرى الطابع من المطبوع، فكما أنه محال أن ينطبع الطين على الطابع بما ليس منتقشًا به، فكذلك محال أن يحصل في نفس المدعو ما ليس بموجود من الداعي، فإذا لم يكن الداعي إلا ذا قول مجرد من العمل لم يكن نصيب المدعو منه إلا القول، فكيف يستقيم الظل والعود أعوج؟! وفاقد النور كيف يستنير به غيره؟!

قال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

ولأن نطق الأفعال أقوى وأبلغ في الإقناع من نطق اللسان.

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُسمع ما تقول ويُشتفى
بالقول منك وينفع التعليم

وقد ذم الله عز وجل هذا المسلك أشد الذم فقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

والمقت أشد الكره وأعظمه.

«فينبغي للخطيب أن يكون ذا سيرة سديدة وطريقة حميدة، غير متهافت على الدنيا ومراتبها، صابرًا على آفاتها ونوائبها،

مراقبًا لله سبحانه في سره وجهره، راضيًا عنه في عُسره ويُسره، مغتنمًا نشاطه، مهتمًا بتقصيره وجبره، محافظًا على العمل بما أمر به في نفسه وخاصته، مُحبًا لأهل الله تعالى، مبغضًا لأهل مخالفته، حذرًا من زخارف الدنيا وزينتها، غير مُلته بعبيدها وشهوتها، كارهًا لرفعتها وشهرتها، قائمًا بفرائض الله وحدوده، قاعدًا عن محاذره ومحدوده، مقبلًا على الله معرضًا عما سواه، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا قعدة قاعد، ولا قومة قائم»

٣- الحلم وسعة الصدر: فكمال العلم في الحلم، ولين الكلام مفتاح القلوب، فيستطيع الخطيب أن يعالج أمراض النفوس ويداوي عللها بهدوء نفسه واطمئنان قلبه وسعة صدره، أما إذا استفزه الغضب واستثاره الحمق نفرت منه القلوب وأعرضت النفوس، والله عز وجل يقول لخيرة خلقه وخاتم رسله ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق

بجهلهم وضعفهم ونقصهم.

٤- **التواضع**: والداعية إلى الله والخطيب الذي يوجههم أحوج من غيره إلى هذا الخلق؛ فالناس لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقًا وصدقًا، كذلك فإن من طبائع الناس أنهم لا يحبون من يكثر الحديث عن نفسه وكثير الثناء عليها، ويكثر من قول أنا، أنا..

كما أن الناس لا يقبلون على أصحاب الأبراج العاتية الذين ينظرون إليهم وإلى اهتماماتهم من علٍ يأنفون أن يخالطوهم عن كثب ويعيشون في معزل عنهم فلا تزاور ولا التقاء بعيدًا عن جدران المسجد يلمس الناس فيه صدق الداعية والخطيب وشفقته وتواضعه.

٥- **ضبط النفس واحتمال المكاره**: فالخطابة منصب خطير؛ إذ قد تعترض الخطيب مصاعب ومكاره وقد يقابل بصد أو إعراض وربما سخرية واستهزاء، علاجه وسلاحه في ذلك كله الصبر والاحتمال.

٦- **القناعة والعفة واليأس من الناس**: فعلى قدر قناعة العلماء والدعاة والخطباء في الدنيا وتقللهم منها تكون مكانتهم في نفوس الناس والتفافهم حولهم والانقياد لهم، وعلى قدر تعلقهم بالدنيا تكون زهادة الناس فيهم وعزوفهم عنهم ونفرتهم منهم.

قال **سفيان الثوري**: العالم طبيب هذه الأمة، والمال داؤها، فإذا كان يجر الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره؟!

والقناعة والعفة والاستغناء عن الناس شرف الداعية والخطيب، يقول الحسن البصري: لا يزال الرجل كريمًا على الناس حتى يطمع في دينارهم، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه. وقيل لأهل البصرة: من سيدكم؟ قالوا: الحسن. قال: بم سادكم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دينارهم.

وفي الحديث: **«ازهد فيما عند الناس يحبك الناس»**.

فينبغي للداعية والخطيب نزاهة النفس عن شبه المكاسب، والاكتفاء بالميسور عن ذل المطالب؟ فإن

شبه المكتسب إثم، وكد الطلب ذل.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما

ورحم الله محمد بن واسع البصري؛ فقد كان يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد.

٧- الورع واتقاء الشبهات والبعد عن مواضع الريبة ومسالك التهمة: فذلك أبرأ لذمة الداعية والخطيب وأسلم لعرضه وأهون على الإقبال عليه، وأدعى إلى الانقياد له؛ لأن حال الداعي يؤثر في القلوب أكثر من مقاله، وهكذا كان ﷺ وصحابته وأئمة الهدى.

وقد حكت لنا كتب التراجم والسير نماذج رائعة لورع السلف وصورًا أقرب ما تكون للخيال لولا صدق الرواية وتواترها.

وهذا عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه كان يوزن بين يديه مسك للمسلمين فأخذ بأنفه حتى لا تصيبه الرائحة، وقال: هل ينتفع منه إلا بريحه؟!

قال ذلك لما استبعد ذلك منه، وهذا من ورعه رحمه الله.

وهذا الفضيل بن عياض رحمه الله كانت له شاة فأكلت شيئًا يسيرًا من علف بعض الأمراء فلم يشرب من لبنها بعد ذلك.

وقال ابن المبارك رحمه الله: لأن أرد درهمًا من شبهة خير من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف ومائة ألف.

وهذا رسولنا ﷺ سيد المتقين وإمام الورعين مر بتمرة فقال: «لولا أن تكون صدقة لأكلتها» وخبر أبي بكر واستقائه معلوم مشهور.

وأما البعد عن مواضع الريبة ومسالك التهم، فذلك أن من فعل ذلك لا يأمن من إساءة الظن به وسقوطه في عين الناس فلا ينفع نصحه ووعظه، وهذا رسولنا ﷺ المعصوم الذي لا يظن به مسلم أبدًا سوءًا يقول وقد رآه رجلان من أصحابه مع زوجه: «إنها صفية» فيكبر على الصحابيين ذلك فيجيبهما: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في الجسد، وإني خشيت أن يُدخل عليكما».

فينبغي للداعية والخطيب أن يتحرز عن كل ما يوهم نسبته إلى ما لا يليق لئلا يوجب سوء الظن به، وإن كان له مخلص، فذلك سبب لعدم الانتفاع به وبإرشاده.

وعن علي رضي الله عنه قال: إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره؛ فرب سامع نكرًا لا تستطيع أن تبلغه عذرًا.

٨- علو الهمة: فينبغي للخطيب أن يكون كبير الهمة عالي النفس مترفعًا عن الدنايا والسفاسف، يستصغر ما دون النهاية من معالي الأمور.

ومثل هذا الخطيب يرتفع بهمم جمهوره، واهتماماتهم فيصطبغون بصبغته ويتخلقون بأخلاقه، وإنما كانت همة الصحابة رضي الله عنهم على هذا النحو العظيم، لتأثرهم بهمته ﷺ وعلو نفسه الشريفة؛ حتى كان الشجاع منهم من يكون قريبًا منه في ساحات الوغى.

ب) آداب ظاهرة:

وهي تتعلق بجملة من الآداب والأخلاق المتعلقة

بالسمت والسلوك، وهذه الآداب لها دور بارز مؤثر في تأثير الخطيب في الناس واقتناعهم به وإقبالهم عليه. ومن هذه الآداب:

١- **حسن الهيئة**: فالخطيب مطمع الأنظار، والنظر يفعل في القلب فعل الكلام في السمع؛ فينبغي له أن يتهيأ قبل الخطبة بالطهارة والادّهان والطيب والاغتسال والتزين على مقتضى الشريعة في جميع ذلك.

يقول الماوردي: «ويستحب للإمام من حسن الهيئة وجمال الزي أكثر مما يستحب للمأموم؛ لأنه متبع».

وقال الإمام النووي: «ويستحب للإمام أكثر مما يستحب لغيره من الزينة وغيرها..».

وذكر الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين» أن أبا واثلة إياس بن معاوية المزني أتى حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق، فاستولى على المجلس؛ ولأوه أحمر ذميمًا باذ الهيئة قشفًا، فاستهانوا به، فلما عرفوه اعتذروا إليه، وقالوا له: «الذنب مقسوم بيننا وبينك؛ أتيتنا في زي مساكين تكلمنا بكلام الملوك».

كما لا ينبغي للخطيب أن يبالغ في ارتداء نفس الثياب بدعوة الوجاهة والوقار لما يترتب على ذلك من حصول فجوة في الغالب بينه وبين الجماهير، خاصة إذا كانوا من وساط الناس، وخير الأمور الوسط، وأفضل الهدي هدي محمد ﷺ.

٢- الوقار والرزانة: وذلك بالإمساك عن فضول الكلام، وكثرة الإشارة والحركة فيما يستغني عن الحركة فيه، والتحفظ من التبذل بالهزل القبيح، وضبط اللسان من الفحش وذكر الخنا والقبيح، والمزاح السخيف، فلا كرامة لمبتذل، ولا عظمة لمن يسرف في المزاح ويفحش فيه، وينبغي له الترفع عن الجلوس في الأسواق وقوارع الطرق من غير ضرورة؛ فإن الإكثار من ذلك مخل بكرامته، وفي الجملة ينبغي له التحلي بالسكينة والوقار في جميع أحواله وفي مشيته وكلامه، فهو من أسباب اكتساب الهيبة والإجلال عند الناس وأدعى للانتفاع به، ولكن يجب الحذر من الخلط بين الوقار والرزانة، وبين الكبر والعجب بالنفس والترفع عن الخلق؛ فليس مقصود كلامنا أن يصبح

الخطيب شخصًا منبوذًا في مملكة موهومة لا يألف ولا يؤلف، ولا يجرؤ أحد على مخاطبته والحديث إليه.

وهذا رسولنا ﷺ أعظم الناس وقارًا ورزانة ووجاهة وأعظمهم هيبة في نفوس أصحابه، وكانت الأمة تأتيه فتأخذ بيده فيصحبها حتى تقضي حاجتها.

٣- المحافظة على السنة: وهذا كما يشمل الاقتداء بسنته ﷺ باطنًا، فإنه أيضًا يشمل المحافظة على الهدي الظاهر المستحب منه والواجب، وهذا أدعى لقبول الناس منه ما يدعوهم إليه من اتباع أمره ﷺ واتباع سنته وشرعته، ولا يعقل مثلًا أن يدعوهم إلى الالتزام بهديه ﷺ ثم هو مثلًا حالق لحيته، أو ينهاهم على الإسبال مثلًا وهو مسبل، ومبدأ «خذ كلامي ودع فعالي» لا يصلح مع كل أحد خاصة الخطيب الذي تتجه إليه الأنظار وتتعلق به الأبصار، والذي عليه التأدب والالتزام بكل ما من شأنه أن يجمع حوله القلوب ويحملها على الامتثال.

وبعد هذا البيان لصفات الخطيب وآدابه التي ينبغي له

أن تتوفّر فيه، نشرع في بيان بعض العيوب التي ينبغي أن يتقيها ويجتنبها، فإنه لا يطيّب الثوب حتى يغسل.

عيوب الخطابة

يمكن تقسيم العيوب الحاصلة في هذا الفن ثلاثة أقسام:

الأول: عيوب في الخطيب، ومنها:

١ - اللحن: وأفحشه ما كان في آيةٍ أو حديث، ثم ما غيّر المعنى، ثم ما كان في كلام الغير.

قال عبد الملك بن مروان: «الإعراب جمال للوضيع، واللحن هُجنة على الشريف، والعُجب آفة الرأي» (البيان والتبيين (٢/ ٢١٦).

وكان يقال: «اللحن في المنطق أقبح من آثار الجدَريّ في الوجه» عيون الأخبار (٢/ ١٥٨).

وإن أعظم أسباب اللحن الجهلُ بعلمي النحو والصرف. قال الأصمعي: «إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قوله ﷺ: «من

كذب علي فليتبوّأ مقعده من النار» لأنه ﷺ لم يكن يلحن، فمهما رويتَ عنه ولحنت فيه كذبت عليه».

ولذا ينبغي للخطيب أن يتعلم من النحو واللغة ما يقوّم به لسانه، ويَسلم به من هذه الآفة.

٢ - **التصحيف**: وأكثر ما يقع لمن يقرأ من كتاب، فيصحف نظره بسبب رداءة الخط أو ضعف البصر أو عدم استيعاب ما يقرأ أو عدم التركيز فيه أو غير ذلك من الأسباب، وقد حصل لبعض الفضلاء أن قال في خطبته وهو يقرأ من ورقة: «ومن ترك واجبًا من واجبات الحج متعمدًا يأثم ويَكْفُر» بتخفيف الفاء، فنبّهه بعض الناس بعد قضاء صلاته، فبادر إلى تصحيح خطئه، وقال: «الصواب: يأثم ويُكفِّر» أي من الكفارة.

• **الخطبة المكتوبة:**

ومن العيوب التي ينبغي التنبيه إليها في هذا المقام - وإن كانت هي ليست من التصحيف - انتقال البصر من سطر إلى سطر آخر، أو من فقرة إلى فقرة أخرى، أو أن تنقصه ورقة، أو

يختل ترتيب أوراقه، ولا يتنبّه لشيء من ذلك، وهذا بعض مساوئ الخطبة المكتوبة، وهي عيوبٌ حادثةٌ لم يذكرها المتقدمون؛ لأن الخطبة عندهم لا تكون بالقراءة من كتاب، فهذه قراءة وتلك خطابة، فهما فنّان مستقلان متباينان.

٣ - **اللّفف والعجلة**: والمراد باللّفف التباطؤ في الكلام حتى كأن لسانه قد الْتفَّ، والمراد بالعجلة السرعة في الإلقاء، فكما أن الإسراع مذموم لما فيه من تفويت الفهم على السامع، فكذلك التباطؤ مذموم لما فيه من بعث الملل والضجر في قلوب السامعين، والسنة الاقتصاد في ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يسرُد كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بَيْنَه فصل، يحفظه من جلس إليه» (أخرجه أبو داود [٤٨٣٩]، والترمذي [٣٦٣٩]، واللفظ له وحسنه، ووافقه الألباني.

وقد تكون سرعة الإلقاء طبعًا في الخطيب وقد يكون سببها طول موضوع الخطبة، أو القراءة من كتاب.

٤ - **كثرة الحركة**: وذلك كالعبث باللحية أو الخاتم أو الساعة أو النظارات أو الثوب أو العمامة، فإنها منقصة من هيبة

الخطيب، ومدعاة للازدراء والاحتقار، وأنشد بعضهم في ذم ذلك فقال:

مليٌّ ببُهر والتفاتٍ وسعلة
ومسحة عثنونٍ وفتل الأصابع

(العقد الفريد (٤/ ٥٥)

وسبب هذا العيب هو ترك سنة الاستناد أثناء الخطبة.

فينبغي للخطيب أن يعالج هذا العيب بوضع يديه على المنبر أو العصا، وأن يستشعر حرمة المقام ويراعي لحظ المخاطبين فيلزم السمت والسكون والوقار.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحركة اليسيرة الموزونة لا بأس بها، بل قد تكون أحيانًا مطلوبة لزيادة الإفهام، وهي التي كان النبي ﷺ يستعملها في بعض خطاباته كما في قوله ﷺ: **«بعثت أنا والساعة كهاتين»**، وقوله: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين»**، وكإشارته بالسبابة إلى السماء، وغير ذلك.

قال بعض الأدباء: «الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب

عن اللفظ، وما تغني عن الخط» (البيان والتبيين (١/ ٧٨).

٥ - البهر والارتعاش والرّعدة والعرق: وهذا العيب من أشد العيوب وطأة على الخطباء، لأنه يعتري الخطيب قسرًا، ويغلبه قهرًا، فإذا اعتراه أفقده توازنه، وأوقعه في الاضطراب الشديد، وقد يصل به الأمر إلى أن يضطر إلى قطع خطبته فلا يستطيع إكمالها مهما حاول، حتى إن بعضهم لا يقوى على القيام.

وهذا العيب غالبًا ما يعتري المبتدئين الذين لم يستعدوا نفسيًا ولم يتدربوا لهذا المقام، وقد يعتري غير المبتدئين وذلك إذا علم أن من بين الحضور أناسًا يوقّرهم ويعظمهم ويُكبرهم.

٦ - رفع اليدين: رفع اليدين عند الدعاء في الخطبة خلاف السنة، إلا في دعاء الاستسقاء فقد ثبت عنه ﷺ رفع اليدين فيه، أما غيره من الدعاء فلا يشرع للخطيب أن يرفع فيه يديه، فعن حصين أن بشر بن مروان رفع يديه يوم الجمعة على المنبر، فسبّه عمارة بن رؤيبة الثقفي وقال: «ما زاد رسول الله على هذا» وأشار بإصبعه السبابة

٧ - ضعف الصوت: صوت الخطيب هو الآلة التي يبلّغ بها خطبته، فإذا كان صوته ضعيفًا كان التبليغ ضعيفًا، فلا يحصل مقصود الخطبة، ولذا كان النبي ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه وعلى صوته كأنه منذر جيش. يقول: «صبحكم ومساكم» رواه مسلم [٨٧٤] والترمذي [٥١٤] والنسائي (٣/ ١٠٨) واللفظ له.

وقد كانوا يمدحون الجهير الصوت ويذمون الضئيل الصوت، فقال طحلاء وهو يمدح معاوية بالجهارة وبجودة الخطبة:

رَكــــوب المنـــــابر وثّابُهـــــا
مِعَـــــنٌّ بخطبتـــــه مجهـــــرُ
تَريـــــع إليـــــه هـــــوادي الكـــــلام
إذا ضـــــلّ خطبتَـــــه المهـــــذَرُ

(البيان والتبيين (١/ ١٢٧).

والمعنى (معنّ) أي تعنّ له الخطبة فيخطبها مقتضبا

لها، (وتريع إليه...) أي ترجع إليه أوائل الكلام إذا ضلت وذهبت عن المهذر الكثير الكلام.

ويمكن للخطيب الذي بلي بهذا العيب أن يذهبه بالمراسِ والمِران.

٨ - عدم التفاعل مع الخطبة: لا يخفى أن الخطبة قد تشتمل على فنون شتى متغايرة؛ فقد تشتمل على الترغيب والترهيب، وعلى التحذير والتبشير، وقد تشتمل على ما يقتضي الحزن أو الفرح، أو الغضب أو الخوف، والخطيب الموفق يعطي كل مقام حقه من الانفعال والتغيّر.

وسبب هذا العيب في الغالب هو خروج الكلام من اللسان دون القلب، ومتى حصل ذلك لم تؤت الخطبة ثمارها. قال عامر بن عبد قيس: «الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان».

والتفاعل الذي ننشده هو التفاعل الحقيقي الصادق، وليس التفاعل الصوري المتكلّف، فهذا يضر صاحبه، ويجعله هزأة عند المستمعين.

وأشد عيبًا من عدم التفاعل التفاعل بما لا يناسب الكلام فإنه يبعث في السامع التعجب والحيرة فيشغله محاولة تفهّم هذا التصرف من الخطيب عن الإنصات لخطبته.

٩ - **استغلال المنبر لأغراض شخصية**: وهذا العيب من أخسّ العيوب، ويقع فيه بعض الخطباء لقلّة دينه وضعف إيمانه، أو لضعف شخصيته، ومن صوره أن ينتقم الخطيب لنفسه، أو يدافع على نفسه، أو يدعو إلى نفسه، وهذا من أكبر العدوان على المخاطبين،

***قال بعض الفضلاء**: «إن شرّ السراق الخطباء الذين يستغلون المنبر لأغراضهم الشخصية؛ لأنهم يسرقون أعمار الناس، فهم شر ممن يسرق أموالهم».

ومن مضار هذا العيب:

- الإضرار بالدعوة.
- وعدم أداء الواجب الشرعي.
- والمساس بقيمة الخطيب ومكانته.
- وانتهاك حرمة المنبر وتعطيل مهمته.

فالخطيب في حقيقة الأمر لا يمثل شخصه ولا حزبه وإنما يمثل منصبًا شرعيًا، فإذا لم يؤد الذي ينبغي كما ينبغي كان فتنة على الشرع.

من أمثلة ذلك: خطيب بحضرة بعض الأغنياء، تناول موضوع فضل الصدقة، وحثهم على التصدق على أهل العلم والدعاة إلى الله، وغرضه من ذلك أن يتصدقوا عليه.

ومن أمثلته أيضًا: خطيب يردّ على شخص بعينه تصفية للحسابات، ومن أضرار ذلك أن لا يفهم الخطبة إلا قائلها، والمردود عليه، ومن عنده علم بقضيتهما، وقد وصل الحد ببعض الخطباء في بعض المجتمعات أن يمكث نصف عام من الزمن وهو في صراع ونزاع شخصي مع خصمه في كل جمعة صولة وجولة.

١٠ - استغلال المنبر لأغراض حزبية أو طائفية أو عصبية: وذلك بنشر أهداف ومبادئ حزب ما، أو فرقة ما من خلال المنبر، وهذا كله على حساب الدين والدعوة، فهو مناف للغرض الذي أسس من أجله المنبر، بل هو

مناف كذلك لرسالة الإمام الشرعية.

١١ - محاكاة غيره من الخطباء في طريقة الإلقاء، وفي النبرات والسكتات، وفي الحركات والسكنات:

ومن أسباب هذا العيب ضعف شخصية الخطيب أو ولوعه بمن يحاكي ويقلد، ومن أضراره خروج الخطبة من كونها حقيقة إلى الصورية، فيصير الخطيب كأنه ممثل. وقد عاب المتقدمون الخطابة بخطب الغير، فكيف بمن يحاكي غيره من الخطباء.

***قال أبو مسمار العكلي وهو يمدح عامرًا:**

لله درّ عـــــامرٍ إذا نطـــــق

في حفـــل إمـــلاك وفي تلـــك الحِلَـــق

لـــيس كقـــوم يعرفـــون بالـــسرَق

مـــن خطـــب النـــاس وممـــا في الـــورق

يلفقـــون القـــول تلفيـــق الخلـــق

مـــن كـــل نـــضّاح الـــذفارى بـــالعرق

إذا رمته الخطْباء بالحدَق

(البيان والتبيين (١/ ١٣٣).

١٢ - **التفيهق والتشديق والتقعير والتقعيب**: وهو أن يتكلم بأقصى قعر فهمه، وقد عاب النبي ﷺ ذلك في قوله: «**وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**» قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرْثارين والمتشدقين، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون» (رواه الترمذي [٢٠٨٧] من حديث جابر وقال: «حديث حسن غريب» وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣/ ١٠٢) [٢٨٩٧]. قال المنذري: «الثرثار بثاءين مثلثتين مفتوحتين وتكرير الراء هو الكثير الكلام تكلفًا، والمتشدق هو المتكلم بملء شدقيه تفاصحًا وتعاظمًا واستعلاءً على غيره، وهو معنى المتفيهق أيضًا».

وقال أصحاب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبيين: إنما عاب النبي ﷺ المتشادقين والثرثارين والذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها، والأعرابي المتشادق،

وهو الذي يصنع بفكيه وبشدقيه ما لا يستجيزه أهل الأدب من خطباء أهل المدر، فمن تكلف ذلك منكم فهو أعيب والذم له ألزم (البيان والتبيين (١/ ٢٧١).

• **تتبع الغريب والوحشي:**

وتجدر الإشارة هنا إلى أن من العيوب التي يقع فيها بعض الخطباء تتبع الغريب والوحشي من الألفاظ، فإن هذا مناف للمقصود من الخطبة فإن مدار أمر الخطابة على البيان والتبيين وعلى الإفهام والتفهيم فكلما كان اللسان أبين كان أحمد، والوحشي من الكلام يناسب الوحشي من الناس، ولا يعني هذا أن يستعمل الهجين العامي، والساقط السوقي، وإنما يستعمل ما يوصل إلى المطلوب، ويختار للمعاني الجليلة الألفاظ النبيلة.

١٣ - الجفاء والغلظة والقسوة على المخاطبين: وذلك بتوجيه الألفاظ النابية وأصناف الشتائم وألوان السباب إليهم وتنزيل نصوص الوعيد عليهم، واحتقارهم والتكبر والتعالي عليهم، وجرح مشاعرهم، من ذلك مثلًا أن يقول: «إن أبناءكم

قد بلغوا منتهى سوء التربية والخلق وإن أزواجكم قد خرجن عن حدود الأدب...» وكان ينبغي له إذا اضطر إلى مثل هذا الكلام أن يدخل نفسه في جماعتهم، وأن يشعرهم بأنه فرد من أفرادهم، فيقول: «إن أبناءنا... وإن نساءنا».

ومن مساوئ هذه الآفة أن يمقت الناس الخطيب فلا يُصغُون إلى كلامه ولا يستفيدون من وعظه، بالإضافة إلى ما يلْزم من ذلك من تزكية الخطيب لنفسه وإعجابه بها، واغتراره وكبره.

ولتجنب ذلك ينبغي للخطيب أن يكون حكيمًا، وأن يستعمل التواضع والتودد والرفق واللين، وأن يشعر المخاطبين بأنه يريد نفعهم، وأنه حريص على نجاتهم في الدنيا والآخرة، قال الحافظ ابن حجر:

❁ «من آداب الخطيب في حال وعظه أن لا يأتي بكلام فيه تفخيم لنفسه، بل يبالغ في التواضع لأنه أقرب إلى انتفاع من يسمعه» (فتح الباري (٢/ ٢١٧) كتاب الكسوف الباب الثاني

١٤ - عدم الاعتناء بالهيئة: وهذا خلاف السنة فإذا كان

من السنة لعموم الناس يوم الجمعة أن يغتسلوا وأن يستنّوا وأن يتطيبّوا وأن يلبسوا من جميل الثياب، فكيف بالخطيب الذي ترمقه الأبصار وتتجه إليه الأنظار؟!

وإن الخطيب إذا ابتذل في مظهره احتقره الناس، وربما أهانوه، وصُرفوا عن الاشتغال بالإنصات إليه إلى الاشتغال بالنظر إلى هيئته.

وكما أن الابتذال في الهيئة عيب ومذموم فكذلك الاعتناء الزائد على المشروع والخارج عن العرف، والذي ينبغي للخطيب الاعتدال في ذلك وأن لا يخرج عن المعروف المألوف.

١٥ - الصوت النمطي المطرد على وتيرة واحدة: وذلك كأن يستوي عنده الاستفهام والتعجب والإنكار والإخبار والأمر وغير ذلك، ويستوي عنده أيضًا مقام الغضب ومقام الرضا، ومقام الفرح ومقام الحزن، ومن أسباب هذا العيب عدم تفاعله مع الموضوع أو عدم استيعابه له.

ومن أضراره أنه يصعب بسببه فهم كلامه، ويبعث الملل

في نفوس السامعين ويقذف فيهم النعاس، وتشرد أذهانهم لأنه ليس في طريقة الإلقاء ما يشدهم ويلفت انتباههم.

١٦ - مناقضة لسانه لحاله: وهذا من أعظم العيوب وأخطرها، وأشدها ضررًا على الخطيب وعلى الدعوة، وما أكثر الآيات والأحاديث التي تذم الذي يقول ما لا يفعل، وتبين ما له من الوعيد يوم القيامة.

ثم إن ضررها على الدعوة محقق لأن الناس ينظرون إلى الأفعال أكثر من نظرهم إلى الأقوال فإذا وجدوا تنافرًا بينهما كان ذلك فتنة لهم.

١٧ - النحنحة والسعلة: وهذه الآفة تكون عيبًا إذا تكرر صدورها من الخطيب؛ بحيث تقطع كلامه، وتقلل الفائدة من خطبته، وقد ذموا ذلك فأنشد سحيم بن حفص وقال: نعوذ بالله من الإهمال ومن كلال الغرب في المقال ومن الخطيب دائم السعال (البيان والتبيين (١/ ٤٠)

الثاني: عيوب في الخطبة: وهي عيوب تكون في معنى الخطبة أو مبناها، ومنها:

١ - خلوّها من التشهد والثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ: قال ﷺ: «كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء» أخرجه أبو داود [٤٨٤١]، والترمذي [١١٠٦] من حديث أبي هريرة. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب». ورمز السيوطي لصحته، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة [١٦٩]. أي كاليد المقطوعة أو المصابة بالجذام.

*قال المناوي - نقلًا عن ابن العربي -: «أراد بالتشهد هنا الشهادتين، من إطلاق الجزء على الكل كما في التحيات»، ثم نقل عن القاضي قوله: «أصل التشهد الإتيان بكلمة الشهادة، وسمي التشهد تشهدًا لتضمنه إياهما ثم اتسع فيه فاستعمل في الثناء على الله تعالى والحمد له» (فيض القدير (٥/ ١٨)

وقد كانت العرب تذم الخطبة إذا لم يكن في أولها حمد لله وصلاة على النبي ﷺ، فقد خطب الفضل بن عيسى الرقاشي إلى قوم من بني تميم، فخطب لنفسه، فلما

فرغ قام أعرابي منهم فقال: «توسلْتَ برحمة، وأدليت بحق، واستندت إلى خير، ودعوت إلى سنة، ففرضك مقبول، وما سألتَ مبذول، وحاجتك مقضية إن شاء الله تعالى»، قال الفضل: «لو كان الأعرابي حمد الله في أول كلامه وصلى على النبي ﷺ لفضحني يومئذ» أي لبلاغته وفصاحته (البيان والتبيين (٤/ ٧٣).

وقد كان خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان، يسمون الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد وتستفتح بالتمجيد: «البتراء»، ويسمون التي لم توشَّح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي ﷺ: «الشوهاء» (البيان والتبيين (٢/ ٦)..

٢- **الطول الممل والقصر المخل:** إن المقصود من الخطبة هو إفهام المخاطبين وإقناعهم بمضمون الكلام الموجه إليهم، فكل ما يحول دون ذلك عيب يجب اجتنابه، وأعظم ذلك الإطالة التي هي أدعى لسقطات اللسان، وتبعث الملل والسآمة في الإنسان، ولهذا قال النبي

ﷺ: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحرًا» أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٤) [٨٦٩] من حديث عمار رضي الله عنه.

* **وقوله:** «مئنة من فقهه» أي علامة على فقهه ودليل عليه.

قال بعض الأدباء: «للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن قدر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والملال، فذلك الفاضل هو الهذر، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذي سمعتَ الحكماء يعيبونه» (البيان والتبيين (١/ ٩٩).

لكن ينبغي للخطيب وهو يراعي مجانبة هذا العيب أن يجانب أيضًا الوقوع في ضدّه وهو القِصر المخلّ، وخير الأمور الوسط، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كنت أصلي مع رسول الله ﷺ، فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا» (أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٠) [٨٦٦].

ويندُّ عن الذم ما يقتضيه الحال والمقام من طول أو

قصر، ومما مدحوا به الطول والإيجاز إذا وقعا موقعهما قول داود بن حريز الإيادي:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحيَ الملاحظ خيفة الرقباء (البيان والتبيين (١/ ١٥٥).

٣ - **خلوها من نصوص الكتاب والسنة**: وقد عد بعض الفقهاء من أركان الخطبة ذكر آية من كتاب الله تعالى، فلا يحسن بالخطيب أن يخلي خطبته من القرآن الكريم، وكذا من سنة المصطفى ﷺ؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار، والرقة وسلس الموقع.

وقد كانت العرب تعيب ذلك فقال بعضهم في خطيب مصقع: «هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن» (البيان والتبيين (١/ ١١٨).

وكان ﷺ يعظ في خطبه بالقرآن الكريم، فعن صفوان بن يعلى عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ على المنبر: «**ونادوا يا مالك**» (أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٤ - ٥٩٥) [٨٧١]

بل ربما قرأ سورة بأكملها، فعن أخت لعمرة قالت:

«أخذت ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: ١] من في رسول الله ﷺ يوم الجمعة، وهو يقرأ بها على المنبر في كل جمعة» (أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٥) [٨٧٢].

٤ - **كثرة الشعر فيها**: وقد يصل الحد ببعض الخطباء إلى أن يُنزل الشعر منزلة الكتاب والسنة، فيستدل به كما يستدل بالكتاب والسنة، بل بعضهم قد لا يستدل إلا به، وهذا عيب كبير وطريق إلى تقرير الباطل إذا كان ذلك الشعر مشتمل على باطل.

قال الجاحظ في (البيان والتبيين (١/ ١١٨): «وأكثر الخطباء لا يتمثلون في خطبهم الطوال بشيء من الشعر على أن الاستشهاد بالشعر الذي له وقع في النفس، ويؤيد المعنى الذي نسج له الكلام لا بأس به إذا كان بقدر وناسب المقام، وقد كان بعض خطباء العرب تفعله» (البيان والتبيين (١/ ١١٩ - ١٢٠)..

٥ - **اشتمالها على ألفاظ منكرة شرعًا أو عرفًا: مثال الألفاظ المنكرة شرعًا أن يقول**: «ما شاء الله وشاء فلان»، أو

يقول: «من أطاع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما»، أو يقسم بغير الله تعالى أو غير ذلك من الألفاظ المنهية (معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله)

وعن عدي بن حاتم أن رجلًا خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال رسول الله ﷺ: «**بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى**» (أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٤) [٨٧٠].

والمراد بالألفاظ المنكرة عرفًا ما اتفقت طباع القوم على استقباحه واستهجانه، فعلى الخطيب أن يتجنبه وأن يعدل عنه إلى بديل يعرفه القوم ولا ينكرونه، وهذا يختلف باختلاف البقاع والأصقاع، فربّ لفظ حسن شريف عند قوم قبيح هجين عند آخرين، وعليه يلزم من أراد أن يخطب في قوم أن يعرف لسانهم وعاداتهم وأعرافهم حتى لا يقع فيما يصْدهم عنه ويسقطه في أعينهم.

٦ - اشتمالها على باطل: وهذا من أخطر العيوب

وأشدها ضررًا على الناس، وبخاصة إذا كان الخطيب مصقعًا مفوهًا، فيتوصل بحسن كلامه وتنميق عباراته إلى تقرير باطل كعقيدة فاسدة، أو بدعة محدثة، أو معاملة محرمة، أو معصية لله ورسوله ﷺ.

٧ - **اشتمالها على أحاديث ضعيفة أو موضوعة:** وهذا العيب قلّما يسلم منه خطيب في العالم الإسلامي، وذلك لعدم التحرّي والتثبت من صحة الحديث، ويخشى على من وقع في مثل هذا أن يتناوله الوعيد الذي ذكره رسول الله ﷺ في قوله: **«من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»** أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما.

*وقوله ﷺ: **«كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع»** أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه..

ويشتد هذا العيب ويتفاقم إذا كان موضوع الخطبة كله مبنيًا على حديث ضعيف أو موضوع، كمن يخطب في قصة

ثعلبة بن حاطب ويستخرج منها العبر والعظات، وهي غير ثابتة، أو يخطب في قصة الغرانيق وهي أيضًا لا تثبت.

٨ - **طغيان الأسلوب العلمي على الأسلوب الأدبي**: من مظاهر هذا العيب أن يستعمل الخطيب مصطلحات علمية دقيقة لا يدركها عامة الناس.

ومن مظاهره أيضًا التوسع في تخريج الأحاديث وعزوها والكلام على طرقها وعللها.

ومن مظاهره أيضًا خلو الخطبة من الأساليب الإنشائية كالأمر والنهي والاستفهام والتعجب والدعاء وغير ذلك، مما يخرجها من حد الخطابة إلى حد المقالة.

٩ - **عدم إيفاء الموضوع حقه**: وذلك بأن لا يتناول جميع عناصره، أو أن يستطرد ويفرع حتى يخرج عن الموضوع الذي يخطب من أجله، أو أن يشتت الموضوع ويبعثر الأفكار ولا يربط بينها.

١٠ - **خلوها من الإرشاد والتوجيه الفوري**: وذلك بأن يغض الطرف عمن يتخطى رقاب الناس، فلا ينهاه عن

ذلك، ويسكت عمن جلس دون أن يركع ركعتين فلا يأمره بهما، ويحصل بين يديه منكر فلا ينهى عنه.

١١ - اشتمالها على ألفاظ ثابتة لا تتغير، يفتتح بها ويختم بها وكأنها سنة ماضية: وذلك كقولهم: «أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم...»، وقولهم: «بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...»، وقولهم: «فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له...» وغيرها من العبارات التي يلتزم بها بعض الخطباء كأنها ركن من أركان الخطبة، وواجب من واجباتها.

١٢ - غلبة الترخيص عليها: قال الحافظ ابن حجر: «من آداب الخطبة ترجيح التخويف فيها على التوسع في الترخيص لما في ذكر الرخص من ملاءمة النفوس لما جبلت عليه من الشهوة، والطبيب الحاذق يقابل العلة بما يضادها لا بما يزيدها» فتح الباري (٢/ ٦١٨).

ثالثًا: عيوب نسبية: قد يكون الخطيب مصقعًا متوفرًا فيه جميع شروط الخطابة وخاليًا من العيوب، وتكون خطبته بالغة الغاية في الجودة مبنى ومعنى، ولكن خطبته لا

تناسب المكان الذي هو فيه، أو الزمان الذي هو فيه، أو الناس الذين يخطب فيهم، هذا ما نعني بالعيوب النسبية.

١ - **عدم مناسبة الخطبة للمخاطبين**: وسبب هذا العيب في الغالب هو الجهل بواقع المخاطبين وأحوالهم ومستوياتهم وأعرافهم، فلا يراعي في خطبته المستوى العلمي واللغوي لدى المخاطبين، فيتناول موضوعا يفوق أفهامهم، ويستعمل ألفاظًا لا يدركها أكثرهم، ولتحاشي هذه الآفة على الخطيب أن ينوع في استعمال المرادفات حتى يقع على اللفظ الذي يفهمه السامع ويصل به إلى المعنى الذي يريد أن يبلغه.

*****وعن بعض الأدباء**: «وليس يشرف المعنى بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتصنع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة من الخطاب، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال. فمن تمكن من البلاغة في البيان على أن يفهم العامة معاني الخاصة، ويكسو الخطبة بالألفاظ المتوسطة التي لا تلطف

عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء فهو البليغ التام والخطيب المصقع» العقد الفريد (٤/ ٥٥ - ٥٦)..

* **وقال بشر بن المعتمر:** «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا، ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات» البيان والتبيين (١/ ١٣٨، ١٣٩)..

٢ - **عدم مناسبة الخطبة للمكان:** وذلك كأن يتناول في قلب الصحراء موضوع المنكرات التي تحصل في شواطئ البحار، أو يتكلم عن أحكام زكاة الزروع والضروع في مكان ليس فيه زرع ولا ضرع، أو غير ذلك، فعلى الخطيب أن يراعي المكان الذي هو فيه، وأن تكون خطبته مواتية للظرف الذي يخطب فيه.

٣ - **عدم مناسبة الخطبة للزمان:** وذلك كأن يتبيِّن فضل الجهاد وبعض أحكامه في زمان فتنة، أو يتكلم عن فضل العشر

الأواخر من رمضان في أشهر الحج، أو يتناول فضل الحج في شهر رمضان، أو غير ذلك من نظائرها مما يقع فيه الخطباء كعدم مراعاة الأحداث، والمناسبات الشرعية ذات الشأن.

نصائح للخطيب

وبعد: ننصحك أخي الخطيب ببعض النصائح المفيدة التي تعينك على النجاح في خطابتك، وهي:

١- اغتنام فرصة نشاط النفس، وفراغ البال لإعداد الخطبة، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا، وأشرف حسبا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف، ومعنى بديع.

٢- الحذر من التوعر، فإنه سبيل التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك المعاني، ويشين الألفاظ.

٣- التماس الألفاظ الكريمة للمعاني الكريمة، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف.

٤- صون اللفظ والمعنى عما يفسدهما ويهجنهما.

٥- الحرص على أن يكون اللفظ رشيقًا عذبًا، وفخمًا سهلًا، وأن يكون المعنى ظاهرًا مكشوفًا، وقريبًا معروفًا، سواء عند الخاصة إن كانت الخطبة للخاصة، أو عند العامة إن كانت الخطبة للعامة (البيان والتبيين (١/ ١٣٥ - ١٣٦).

* * *

◉ ولـك قائمـة بأسـماء الكتـب المهمـة في هـذا: أهـم المراجع:

١- مـن أدب الإسـلام، لعبـد الفتـاح أبـو غـدة، مكتـب المطبوعات الإسلامية بحلب.

٢- فنـون الـذوقيات والاتيكيـت الإسـلامي، عبـد الله البوسعيدي، دار ابن حزم.

٣- تقرير ميـداني، محمـد أحمـد الراشـد، سلسلة رسائل العين.

٤- الأخلاق الفاضلة، د.عبد الله الرحيلي، دار المسلم.

٥- مجتمع الذوق الرفيع، د. يوسف العظم.دار القلم

٦- روضة العقلاء لابن أبي حاتم البستي

٧- الحلم، لابـن أبـي الـدنيا ص ٣٢، وأخطـاء في أدب المحادثة والمجالسة

٨- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري

٩- العزلة، للخطابي

١٠- الأدب المفرد للإمام البخاري

١١- فتح الباري شرح صحيح البخاري

١٢- شرح صحيح مسلم للنووي

١٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري

١٤- جامع بيان العلم وفضله

١٥- الفقيه والمتفقه

١٦- السلسلة الصحيحة للألباني

١٧- السلسلة الضعيفة للألباني

١٨- السنن الأربعة

١٩- مجمع الزوائد

٢٠- نصب الراية للزيلعي

٢١- كتب للمؤلف: لك أيها الداعي: الدعوة وفن البلاغ: المعاهدة في التربية بالمجاهدة: ولدي العزيز)

* * *

فهرس الموضوعات

* * *